



# مراجعة كتب

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

جمادى الآخرة 1440 هـ – فبراير 2019م

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الأجانب الذين يتردد صدى العرب في قصائدهم فرنسيس وليام لودرديل آدمز (1892-1893). شاعر وروائي بريطاني، أبوه عالم في التاريخ الطبيعي، وأمه روائية. هاجر إلى أستراليا حيث قضى معظم حياته متفرغاً للكتابة. كان غزير الإنتاج رغم أن العمر لم يمتد به أكثر من واحد وثلاثين عاماً؛ فقد صدرت له ثلاث روايات ومجموعة قصصية، إضافة لأعماله الشعرية. انطلاقاً من توجهاته الاشتراكية، اهتم فرنسيس آدمز في أعماله بالطبقات المسحوقة والشعوب المظلومة؛ لذلك حين ذهب إلى الإسكندرية هاجم الاحتلال الإنجليزي لمصر، وألّف كتاباً في ذلك عنوانه «مصر الجديدة»، نُشر بعد وفاته سنة 1893. وفي معظم أراضي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، كانت هناك احتجاجات دائمة ضد الاستعمار الإنجليزي، بل حتى في بريطانيا نفسها، على الرغم من موجات الدعاية المؤيدة للإمبريالية. كان كثير من البريطانيين يستنكرون احتلال أراضي الآخرين بالقوة، وقد نتج عن هذا في معظم الأحيان مشاعر متناقضة بين الجنود الإنجليز، عبر عنها فرنسيس آدمز في قصيدته «إنجلترا في مصر»، نترجم له هذه القصيدة المهمة:

من سنّ الشَّمْسِ غُبارَ القاهرة... مُرَّهًا بالطرقات السَّادِة  
زُرْقَة صافية قد حَضُنَّت... نخلها، غير سماء ساهرة  
عَبْرَتِ نافذتي مُفَعِّمَةً... بِكأها أغنيات ساحرة  
أذْهَلْتَنِي مِنْ سِنَاتِي خَافِضًا... ما أخيلها المِسْقَى السَّاهِرَة!  
هاهنا تَحْتَ سَمَاءِ حَرَّةٍ... دُقَّتْ مِيلَادُ السَّنِينِ البَاهِرَة  
وأرى الأجنَادَ تُحْمِي دَمْعُهَا... هَمَجٌ ذَاتُ حِرَابٍ مَآكِرَة

لنا، فَفَرَّتْ وَرَكَضَتْ طَوَّالًا... ثُمَّ وَقَفَتْ، ناظراً مَذْهُولًا  
حَتَّى سَمِعْتِ النَّايَ والطَّبُولَا... حَتَّى سَمِعْتِ النَّايَ والطَّبُولَا  
إنْجَلْتِرا سَتَقَرَّعُ الطَّبُولَا... مُرْجِفَةٌ هَوَاءِهَا الدُّخِيلَا  
إنْجَلْتِرا، إنْجَلْتِرا، إنْجَلْتِرا... سَمِعْتِ نَايَا ضَارِيًا مُرْجِرًا  
نَحْنُ هُنَا نَسْرُفُكُمْ لِإنْجَلْتِرا... وَنَحْنُ الحُرِيَّةُ التي نَرَى!  
إنْجَلْتِرا، إنْجَلْتِرا، إنْجَلْتِرا... سَمِعْتِ طَبِيلًا شَرَسًا وَهَادِرًا  
نَحْنُ نَعْتَادُ مِنْ سَطَا وَغَدْرًا... وَغَاصِبٌ مُسْتَأْسَدٌ بِلا امْتِرَا!

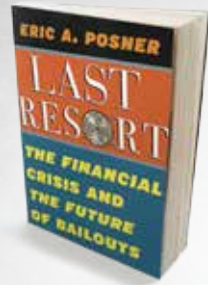
وأتى العَرَبُ صُفُوفًا صَامِتَةً... بَيْنَ خَوْفٍ وَنُفُوسٍ ثَائِرَة  
فَتَتَقَاهُمْ بِعَرَفٍ أَشْر... فَارِغُ الطَّبِيلِ وَرَبِّ الصَّافِرَة  
وَأَنَّهُمْ عَسَكَرٌ مُحْتَضِدٌ... لا يُبَالِي بِالجَمْعِ الكائِرَة  
أه يا رَبِّاهُ كَمْ أَحْبَبْتَهُمْ... أَهْلُ بَاسٍ وَقُلُوبِ قَاهِرَة!  
أه يا رَبِّاهُ كَمْ أَبْغَضْتَهُمْ... أَهْلُ وَهْمٍ وَعَقُولٍ بَائِرَة!  
لَسْتُ أَدْرِي أَيُّ قَلْبِي لَهُمْ... حِينَ ابْصُرْتَ القُوَى المُسْتَعْمِرَة  
فِي نَهَارٍ أَغْبَرِ مَكْتَبٌ... مُنْهَكٌ فِي طَرَفَاتِ القَاهِرَة

هُنَاكَ حَلْمِي قَدْ نَمَّا مَعْلُولًا... أَكَا نَ بَعْضًا أَمْ هُوَ جَمِيلَا  
حِينَ سَمِعْتِ النَّايَ والطَّبُولَا... حِينَ سَمِعْتِ النَّايَ والطَّبُولَا  
إنْجَلْتِرا سَتَقَرَّعُ الطَّبُولَا... مُرْجِفَةٌ هَوَاءِهَا الدُّخِيلَا  
«جُنُودًا، جُنُودًا، جُنُودًا... سَمِعْتِ نَايَا ضَارِيًا مَدْنِدَنَا،  
ألا تَرَى إنْجَلْتِرا وَنَدْنَدَنَا... تَقْدِيمُهُمَا الرِّجَالَ نَعْمَ المُقْتَنِي؟»  
«جُنُودًا، جُنُودًا، جُنُودًا... سَمِعْتِ طَبِيلًا شَرَسًا وَأَرْعَنَا  
«أَدَانِيًا تَكُونُ عَيْدًا مُدْعَنَا... وَهَاتِلًا لا تُرْحَمُ المُسْتَأْمَنَا»

لَنْ أَرَاهَا أَبَدًا كَالْحَيَّةِ... بَعْيُونِ مُرْهَقَاتِ ضَاحِرَة  
فَالْمَلَائِكِينَ أَتَتْ غَاضِبَةً... دَقَّتِ السَّاعَةُ، هَدَى الآخِرَة  
يا لِنُفُوسِ إنْجَلْتِرا حَسْبِكُمْ... هَذِهِ النَّارُ أَتَقَكَّمُ فَانِرَة  
بَيْلَاءَ إنْجَلْتِرا نَجَّارَهَا... جَسَعُ طَلَعٍ وَنَفْسٍ هَاجِرَة  
فَتَضَلُّوا لَجُنُودِ إنْجَلْتِرا... حِينَ نَعْوِي فِي جَحِيمِ هَادِرَة!

أَوَاهُ، لَكِنِّي عَرَفْتُ القَبِيلَا... هُنَاكَ مَاتَ ثَائِرٌ مَقْتُولَا  
حِينَ سَمِعْتِ النَّايَ والطَّبُولَا... إنْجَلْتِرا سَتَقَرَّعُ الطَّبُولَا  
مُرْجِفَةٌ هَوَاءِهَا الدُّخِيلَا... «جُنُودًا، جُنُودًا، جُنُودًا!»  
سَمِعْتِ نَايَا ضَارِيًا مَدْنِدَنَا... «قَدْ حَانَ أَنْ تُوقَفَ حَمَقًا بَيْنَنَا  
قَدْ حَانَ أَنْ تَمُوتَ أَوْ تُهَيِّمَنَا... «جُنُودًا، جُنُودًا، جُنُودًا!»  
سَمِعْتِ طَبِيلًا شَرَسًا وَمُغْلَلًا...

«قَدْ حَانَ أَنْ تَكْسِرَ قَبْدًا أَرْعَنَا... قَدْ حَانَ أَنْ تَكُونَ حُرًّا مُؤْمَنَا!»



● الأزمة العالمية  
● إريك بوسنر



● المسيحيون وأسفار بني إسرائيل  
● برونيتو سلفاراني



● مولد الاعتقاد الحديث  
● إيثنان شاغان



● الصديق والعدو  
● أرنون غرونبيرغ



● إِمَاطَةُ اللثامِ عَنِ إفريقيا  
● إيزابيل سورون



● ليف تولستوي  
● نيكولاي شاخماغونوف



● لديها ضحكة أمها  
● كارل زيمر



● سلسلة الدراسات الإبائية  
● مجموعة مؤلفين



● السلوك  
● روبرت سابولسكي



● اقتلاع العنصرية  
● بول كيفل

## إصدارات عالمية جديدة



صفحة 22 و 23



## ميلاد الاعتقاد الحديث: الإيمان والحكم من العصور الوسطى إلى عصر التنوير.. لإيثان شاغان

محمد الشيخ \*

من اكتشافات المحدثين، التي ظلت خفية على الكثير من الأقدمين، أن لكل شيء، كيفما كان شأنه، تاريخاً. ثمة من المفكرين من أرخ للحقيقة، وثمة منهم من أرخ للكذب، ومنهم من أرخ للضحك، بل منهم حتى من أرخ للجنون... واليوم، يلتحق بهم مؤرخ أمريكي إذ عني بالتأريخ «للاعتقاد»، لا سيما في دلالاته الدينية: الاعتقاد الديني أو الإيمان. ففي أحدث إصداراته «مولد الاعتقاد الحديث» (2018). يستقصي المؤلف تاريخ الاعتقاد في الغرب المسيحي من العصور الوسطى إلى عصر التنوير، كاشفاً للمرة الأولى كيف نشأت مقولة متميزة للاعتقاد الحديث. ولم يركز المؤرخ على ما الذي يعتقدُه النَّاسُ أو ما الذي يؤمنون به. وهو الأمر الذي عني به عصر الإصلاح الديني. وإنما ركز على مسألة ما الذي يعتبره الناس «اعتقاداً»، وكانت بغيته من الكتاب بيان كيف حدث إن غدا الاعتقاد يحتل هذا الموقع التناقضي في العالم الحديث: صار المقولة الأساسية التي بواسطتها نعبر عن أحكامنا عن العلم والمجتمع والمقدس، ولكن ذلك تمَّ على حساب الاحتكار الذي كان الدين، طيلة عصور ما قبل الحداثة، يحتكر به هذا المفهوم. فلم يعد الاعتقاد حكراً على الدين وحده، بل تعمم مفهوم «الاعتقاد» تعمه المعروف اليوم.

المسيحي على هالة إبستيمية «معرفية» خاصة، عمدت الكنائس المتنافسة إلى إعادة تعريف «الاعتقاد/الإيمان» بوسمه وضعا امتيازيا خاصا يحظى به المصطفون، وعدَّته مقاما مخصوصا لا يتوفر في عدد كبير من البشر، بل في غالبيتهم. وكانت هذه هي الثورة الأولى في المعرفة الدينية، وقد شكلت مشروعا إقصاء وتدجين جمعت حولها جماعات المعتقدين/المؤمنين ضد عالم صار يُدرك الآن على أنه عالم متخن حد التخمة بعدم الاعتقاد/الكفر.

لكن هذه الثورة في مفهوم «الاعتقاد/الإيمان» سرعان ما تولدت عنها ثورة ثانية كانت بمثابة ردة فعل المنشقين عن الاتجاهين معا. الإصلاح الديني والإصلاح المضاد. رافضة منطقتهما المتشدد القشف. ولهذا فقدت هذه الحركة الإيمان، عاكسة بذلك التقسيم الذي كان قد حدث بين الاعتقاد المسيحي والطريقة الدنيوية في المعرفة. كانت هذه هي الثورة الثانية التي شهدت عليها المعرفة الدينية. وهي التي أدت إلى ميلاد الاعتقاد الحديث. كما أن هذه الثورة، حسب ما يرى المؤلف، ما كانت أقل قيمة من الثورة العلمية. ولا غرابة أن تتعاضد الثورتان.

تأسيسا عليه، يتساءل المؤلف طارحا إشكاله الأساس: فإذن، ما هذا الذي أمسى يسمى باسم «الاعتقاد الحديث» والذي بات يتطلب تأريخاً له؟ قد يجيب بعضهم: لا حاجة للاعتقاد بتاريخ، الاعتقاد هو الاعتقاد، هكذا كان وهو على ما كان عليه وسيظل إلى الأبد هكذا. ومن هنا، لا سبيل إلى الحديث عن قديم اعتقاد وعن حديثه... وقد يميل البعض، بالصد من هنا، إلى أنه حتى على فرض أن للاعتقاد تاريخاً، بل وتواريخ، وأن الاعتقاد متعدد، فإنه ما كان من شأن الاعتقاد أن يستقيم على تصور واحد، حتى في العصر الحديث؛ مات دام أن لكل جماعة اعتقادها وتصورها للاعتقاد. ومن ثم، يستحيل الحديث عن مفهوم واحد للاعتقاد الحديث.

في افتتاحه الحديث عن معنى «الاعتقاد الحديث» وعن تميزه عن الاعتقاد الوسيط والاعتقاد الإصلاحى، ينه المؤلف إلى أنه يكاد يكون مفهوم «الاعتقاد/الإيمان» من الألفاظ الأضداد؛ إذ يُفيد معنيين متضادين: يفيد، من جهة، معنى اليقين المطلق، ويفيد من

تحقيق الحداثة، وأن التشكيلة التي ترتبت عن هذه الدفعة هي التي ما لبثت أن شكلت بدورها شرط الدين ووضعه في العصر الدنيوي هذا الذي نحيا عليه.

لقد كان يعني الاعتقاد/الإيمان في تقليد العصر الوسيط. وهو التقليد الذي استمر لقرون من الزمان مديدة. بالأساس عباد الرب المتواضعين الذين لا يمشون في الأرض مرحاً والذين يقبلون الحقيقة الربانية ويتلقونها، بل يتلقونها، من المرجعية الدينية. الكنيسة. وما كان الاعتقاد شأن الجبارين المتكبرين الذين يمشون في الأرض مرحاً والذين يعتقدون أن بمكنتهم أن يحكموا على الحقائق الغيبية بعقولهم. ومن ثم، ما كان مفهوم «الاعتقاد» في هذا النموذج التقليدي الوسيط، يعني الحكم المنطقي المستند إلى الحجة وإلى البرهان، بقدر ما كان يعني الوثوق بأن كلا من عقلنا وتجربتنا على ضلالة.

وقد حدثت بدايات التحول في مفهوم «الاعتقاد/الإيمان» في القرن السادس عشر. وهي التحولات التي جعلت من مسألة «الاعتقاد» مسألة عاجلة في الغرب المسيحي. لكن المؤلف يذهب إلى أن حركة الإصلاح الديني، وعلى عكس ما يعتقد الكثيرون، ما كانت هي أداة الحداثة، وإنما الأمر بالصد؛ إذ إن مفهوم «الاعتقاد» الجديد تطور باعتباره ردة فعل ضد ديانة لوتر وكالفن، مثلما تطور أيضاً ضد مجمع ترنت المسكوني الذي كان قد استدعاه الباب الثالث ضد دعاوى لوتر يوم ٢٢ مايو ١٥٤٢، وشكل منطلقاً لحركة الإصلاح المضادة.

عصور الاعتقاد  
يرصد المؤلف «ثورتين» حدثتا في مفهوم «الاعتقاد/الإيمان» بعد العصر الوسيط:

الأولى تمثلت في ضرب من احتكار مختلف الفرق الدينية للاعتقاد/الإيمان. ذلك أن مختلف الطوائف الدينية المسيحية. البروتستانت والكانتوليك والتعميديين. ساهمت، في القرن السادس عشر، في مشروع مشترك لجعل الاعتقاد/الإيمان قسفاً متشدداً. وإذ واجهت منافسة شديدة غير مسبوقة، وإذ يئست من الحفاظ للاعتقاد

إشكال الكتاب

ذات يوم أجرى الأديب الروسي الكبير ليون تولستوي مقارنة غريبة بين المؤرخين وفاكدي السمع، فوجد أن كليهما يجب عن أسئلة لم يطرحها أحد. ولا يخفى مؤلف هذا الكتاب أنه شعر بالحرج نفسه لما عزم على تأليف كتابه. إذ عادة ما كان النَّاسُ يسألونه عن الاعتقادات الدينية، لكن لا أحد منهم سأله ذات يوم عن تاريخ الاعتقاد نفسه. ثم إن زملاءه نظروا إليه نظرة استغراب لما حدثهم عن مشروعه. وبتواضع شديد، يؤكد المؤلف على أنه رام وضع تاريخ للاعتقاد الديني. وقد ركز، على وجه الخصوص، على العصور الحديثة المبكرة. لكن، لماذا يا ترى التركيز على العصور الحديثة المبكرة؟ لقد فعل ذلك تأثراً بأستاذه تيد راب الذي كان يعتبر أن الحداثة المبكرة هي المرحلة الأكثر إثارة في التاريخ الأوربي، وذلك لأنها شكلت المنعطف الإبستيمي «العربي» من الماضي إلى الحاضر. لقد شكلت، بحسب تعبير المؤلف، «تحولاً في العصر» كان حاسماً.

دعوى الكتاب

يستفتح المؤلف كتابه بالتصريح التالي: نعم، إن للاعتقاد تاريخاً. ويشرح معنى ذلك بالقول: ذلك أن مفهوم «الاعتقاد» مفهوم يتغير عبر الزمان. ويعترف المؤلف بأن عدد المؤرخين الذين درسوا مضمون الاعتقاد الديني لا يحصى، لكن المفهوم نفسه. ما الذي يعني أن نعتقد وأن نؤمن. بقي دوماً على الهامش، حتى وإن تأمل فيه الفلاسفة ورجال اللاهوت. وذاك هو ما يسميه «مقاومة المفهوم للدراسة التاريخية». ويعتبر أن هذه المقاومة ما كانت حدثاً عرضياً. ذلك أن المؤرخين رسموا للاعتقاد مفهومًا ثابتاً، فكان أن جعلوه بلا تاريخ. هذا بينما أطروحة المؤلف الجوهرية أن للاعتقاد تاريخاً، وأنه مفهوم قد تغير. إذ بين العصور الوسطى وعصر التنوير، أعادت الثورات المتتالية في المعرفة الدينية تشكيل ما الذي يعنيه الاعتقاد/الإيمان، عاملة بذلك على تطبيق اليقينيات القديمة، ومنتجة لفضاء الاعتقاد الحديث.

والحال أن المؤلف يرى أن التحول الذي شهد عليه الاعتقاد، أكثر من بزوغ اللا-اعتقاد/الإيمان، هو الذي دفع بالفكر الغربي إلى



ويستحضر أسباب أخرى. أما ما يستبعده فهو ما ادعاه البعض أن الاعتقاد يبدو مفهوما «طبيعيا» و«بديهيا» ولذلك لم يشعر الباحثون بالحاجة إلى تزويده بتاريخ. والحجة المضادة هي أن ثمة مفاهيم تشبهه. الحقيقة مثلا. ومع ذلك وجدت من يؤرخ لها. وأما ما يستحضره من أسباب، فإن أحدها يكمن في المقام الامتيازي للدين، بحيث لا جراءة عليه، وبحيث أنه داخل «المشكلة المعرفية»، يبقى الاعتقاد أقدس الأقداس. وثاني الأسباب أن من شأن التاريخ للاعتقاد/الإيمان أن يتحدى مسألة ما لا ينقال وما لا يتزمّن؛ ومن ثمة فإنه يتحدى العقيدة الدينية.

#### منهجية الكتاب

يمكن أن نميز في المنهجية التي استعملها المؤلف للتأريخ لمفهوم «الاعتقاد»، ولا سيما لمقولة «الاعتقاد» الحديثة، بين وجهين: سلبي وإيجابي.

من الجهة السلبية، هذا الكتاب كتاب بحث لا كتاب عقيدة، ونظر إبستمولوجي في الاعتقاد الدين لا اعتقاد ديني؛ وبالتالي ما كان كتابا في الاعتقاد كما يعيشه أصحابه ويعانونه. ومن جهة الإيجاب، يدرس الكتاب الاعتقاد خارج موطنه الأصلي، لدى عامة الناس، في خلوة النخبة الدينية المفكرة وغير الدينية الناظرة، وليس بين أفتاء الناس. لكن فضله يكمن في أنه ينفلت من ادعاء أن الاعتقاد هو مضمون الدين الإيجابي، وأنه حاضر دوما في كل فعل أو ادعاء على التساوي ليس من شأنه أن يسأل أو أن يُستشكَل.

لقد رسم المؤلف خريطة واسعة من خمسمائة سنة سماها خريطة الاعتقاد، متجاوزا عن بعض التفاصيل الموغلة، مؤمنا بأن التغيير في مفهوم «الاعتقاد» ما حدث هكذا فجأة عن غدارة، وإنما كان أمرا بطيئا وغير متكافئ. ثم إنه حصر الموضوع في المسيحية، ولم يتطرق إلى اليهودية أو الإسلام الذين يعتبر أنهما لعبا دورا مهما في الغرب وساهما في «الحدائث». لقد ركز على موضوع الاعتقاد في الله وفي العقائد الأساسية، مغطيا بلدان بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإسبانيا وإيطاليا.

والخلاصة المفارقة التي انتهى إليها المؤلف من جولته الممتعة عبر الأزمنة والأمكنة هي التالية: على خلاف ما يُعتقد، فإنه عوض أن ينحسر الاعتقاد في زمن الحدائث، انتشر انتشاره الأكبر لكي يغزو كل مناحي الحياة الحديثة. لقد حل الاعتقاد في كل مكان. وبدل أن تكون دنيوية الحدائث قد فصلت الإيمان/الاعتقاد عن العالم، فإنها، بالضد، فتحت الاعتقاد على العالم كله، محررة بذلك مفهوم «الاعتقاد/الإيمان» من دلالاته المسيحية المخصوصة.

#### الكتاب: مولد الاعتقاد الحديث

اسم المؤلف: إيثان شاغان

لغة الكتاب: الإنجليزية

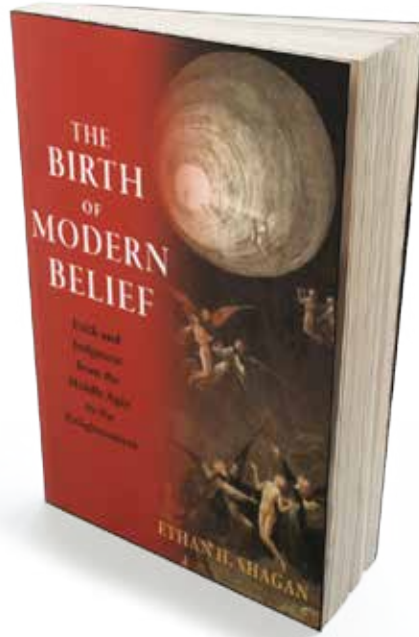
دار النشر: مطابع برينستون

مكان النشر: أوكسفورد

سنة النشر: 2018

عدد الصفحات: 320

\* أكاديمي مغربي



الأقدار. يقود حركة تحرر الإنسان الحديث: كل حسب اعتقاده.

ومن منظور تاريخ الاعتقاد، فإن ما هو جديد حاسم في الحدائث ما كان هو قبول تعدد الأحكام. إذ حتى القدماء كانوا يعلمون أن الإجماع أمر نادر ما يحصل. ولكنه بالأولى الفضاء الذي صار يستقبل تعدد الأحكام التي يصدرها البشر على أنها ينبغي أن تُقبل بوسمها اعتقادات. وهكذا، فإن مقولة «الاعتقاد» نفسها قد تطورت إلى ضرب من الفضاء الإبستمولوجي الجديد الذي يقبل التعدد والتنافس، بحيث أن التعدد الذي كان يمثل في الاعتبار القديم أزمة أو غياب الاعتقاد أو الإيمان، صار يعني، بحسب الاعتبار الجديد، الاعتقاد نفسه. ففي الحدائث، الاعتقاد هو الفضاء الذي تقوم فيه كل الادعاءات باعتبارها بدائل متقايسة متساوية بدل فضاء كان فيه ادعاء واحد ينتصر على باقي الادعاءات. ومن ثمة، أمسى الاعتقاد الحديث يمثل ضربا من النظام بدل الفوضى. وبما أن الناس أمسوا يؤمنون بأشياء مختلفة، فإنهم صاروا، عموما، يقبلون بالمنزلة المعرفية لاعتقادات كل إنسان إنسان بوسمه اعتقادا ينبغي أن يحظى بالاحترام حتى وإن كان لا يعجبهم. وها هم باتوا يتجادلون حول ما إذا كانت اعتقادات معينة مسوّغة ومأمونة وحقّة أو جيدة؛ هذا بينما المسيحيون القدامى كانوا ينكرون اعتبار ادعاءات الناس اعتقادات بالمرّة. وهذا التغيير ما كان مجرد تغيير في دلالة «الاعتقاد»، وإنما هو أمارة أساسية على سيادة الشخص: مما تتولد عنه شروط إقامة السلم في مجتمع متعدد.

وما كان الإصلاح الديني هو من دشن هذا التغيير. ذلك أن مذهب التاويل البروتستانتية لم يكن هو من فتح الاعتقاد أمام الحكم الخاص، وإنما كان أتى بديل تسلطي مبني على أساس من أن اعتقاد الفئة القليلة من شأنه أن يغلب عدم اعتقاد الفئة الكثيرة. ومن هناك، فإن حركتي الإصلاح والإصلاح المضاد ساهمتا في مشروعين متوازيين للتدجين الديني؛ إذ بينما الكاثوليكية دجنت الساكنة على الاعتقاد أو على الإيمان، دجنت البرتستانتيّة جمهور غير المؤمنين/غير المعتقدين. وبالتالي، ما نبع الاعتقاد الحديث من هذه الطائفة ولا من تلك، وإنما نشأ بالضد من هذا، باعتباره ردة فعل على النظام القسفي القوي اللتين أقامتا.

ويتساءل المؤلف: لماذا لم يُكتب تاريخ للاعتقاد؟ ويستبعد سببا

جهة أخرى معنى الاحتمال المبهم. فقد يفيد القناعة العقلية، وقد يُفيد ما يثير القلب أو فعل الجسد. ويمكن للاعتقاد أن يستجيب إلى العقل، كما يمكنه أن يتمرد على العقل. ولهذا لئن سئل الناس: هل تعتقدون/تؤمنون بالله؟ فإنّ الجواب ينبغي أن يكون: «وما هذا الذي تعنيه بالاعتقاد؟» ففي الجوامع والبيع والكنايس يوقن الناس باعتقادهم الديني، لكن في محيط دنيوي يجد الناس منقلبهم بين اللا-أدرية والإلحاد. وهكذا، فإنه في زمن الحدائث اتخذت مسألة الاعتقاد لبوسا خاصا. فقد صار السؤال، مثلا، ممكنا بوفق الصيغ التالية: هل تؤمن بالاحتباس الحراري؟ أو هل تعتقد في الأشباح؟ وبالتالي، فإنّ هذه الكلمة البسيطة. الاعتقاد. أمست تتضمن معاني متباينة. فهل الاعتقاد في الله أو الإيمان به من جنس الاعتقاد في الاحتباس الحراري أو الإيمان بالأشباح؟ هذا يدفعنا إلى إعادة طرح سؤال الاعتقاد. وهو ما رامه المؤلف في مؤلفه هذا.

والحق أن مفهوم «الاعتقاد» اكتسى لبوسا جديدة في العصر الحديث؛ إذ أمسى مفهوما مرادفا لمفهوم «إبداء الرأي» أو «الحكم على شيء معين». ومن ثمة، صار فضاء للتعبير عن استقلال الذات التي تترتّى وتحكم، أكثر مما بقي يتعلق بالأوامر التي تصدر إلى الذات وتلزمها بالفعل وتحملها على التصرف. وبما أن الرأي أو الحكم مهمان للمجتمعات الحديثة، فإن السؤال: «ما الذي يعنيه الاعتقاد؟» سوف يستدعي من سيادة الذوات الحرة أن تقرر لذاتها ما هو اعتقادها. ففي مجتمع أفراد مستقلين ومجتئين من أرض التقليد، فإن اعتقاداتنا هي التي تجعلنا نجد موقنا في العالم؛ أي صرنا نُعرّف من خلال اعتقاداتنا، واعتقاداتنا هي التي صرنا نستعرف بها وتحدد هويتنا باعتبارنا مستهلكين ومصوتين ومشاركين طوعيين في مجتمع مدني ومختارين... وذلك هو اعتقاد ما بعد الأنواريين. وهو ما يسميه المؤلف، مأخوذا على وجه الجملة، باسم «الاعتقاد الحديث»؛ بمعنى أن الاعتقاد أمسى مرادفا للحكم الخاص؛ ومن هنا، فإن الذوات الحديثة باتت تعتقد أو لا تعتقد، تؤمن أو لا تؤمن، بالقياس إلى تصورها حول ما إذا كانت قضية ما قضية ذات مصداقية.

وسمة أخرى للاعتقاد الحديث، هي أنه وإن صار، مبدئيا، نابعا من اتباع هدي العقل، وذلك حتى وإن هو حكم بما لا يقتضيه العقل. أو لسنا نتذكر قول باسكال: للقلب أسبابه التي لا يفهمها العقل؟. ومن ثمة، لا ينم عن اتباع نظام خاص. نظام العقلانية بمعناها الضيق مثلا. بقدر ما ينم عن فضاء ومجال حيث تدار المجادلة المعرفية. ذلك أن شأن الناس، تبعا للمعنى الحديث للاعتقاد، ألا يعتقدوا بنفس الطريقة وبنفس الاعتقاد، ولكنهم يتصرفون بوفق منطق أنهم صاروا أداة للدفاع عن حَقهم في إصدار الأحكام. فالتوافق بين الناس هنا حدث حول الفضاء نفسه: كل واحد حر في أن يختلف مع الأعيان، وأن يعرض ما يعتبره أفضل حجة، لكن لا أحد ينكر منزلة الآخرين من الاعتقاد وحقهم فيه، أو يقول لهم بأن ذاتيتهم لا ترقى إلى مستوى الاعتقاد. بمعنى أن فكرة الاصطفاء من أجل الاعتقاد أو الإيمان قد انتهت.

وهكذا، يعد كتاب «الاعتقاد الحديث» تأريخا عميقا لتشكّل المفهوم الحديث للاعتقاد. وهو يظهر كيف أن التنوير صار هو من يسمح للدين بتجديد ادعاءاته وما عاد الأمر بالعكس. ويظهر المؤلف كيف أن الاعتقاد الحديث بزغ في القرن السابع عشر بحسبانه نقدا للنزعة الطائفية الإقصائية، وباعتباره تحررا أكثر منه تحديدا وتقييدا. فذاك المفهوم الذي أحدث التعصب قديما، ها هو. ويا لسخرية



## المسيحيون وأسفار بني إسرائيل لبرونيتو سلفاراني

### عزالدّين عناية \*

يدور مدار هذا الكتاب حول موضوع مهمّ على صلة بالأصول الدينية للمسيحية في علاقتها باليهودية وبارث العهد القديم تحديداً، ومن ثمّ حول البناء اللاهوتي للدين المسيحي، ألا وهو كيف اشترك دينان توحيديان (اليهودية والمسيحية) في مرجع كتابي واحد، وهو العهد القديم، وكيف اختلفت القراءة وتباينت الرؤية بينهما إلى حدّ الفراق والتغاير، وربما شارفت في مراحل تاريخية مستوى من العداة المكشوف؟ فقد ساد على مدى عهود جفاء بين الدينين بلغ مستوى القطيعة؛ لكنّ مع التحولات المعاصرة وما شهدته العلاقة من تطبيع بين الدينين، سيما في أعقاب مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥)، استلزم الأمر نظراً مستجداً في الرؤى اللاهوتية بقصد تنقيتها من الغلو والأخطاء، ومن كل ما يسيء للعلاقة بين الطرفين.

تكون عميقة وموغلة حين تكون أصولاً مؤسّرة، وهذا ما يجلو من الاهتداء الحديث لتلك الأصول مع المسيحية «التائب»، فكانها بعد علاقة النفي للأصول اليهودية تعود متلهّفة إلى تلك الأصول بحثاً عما هو مفقود وإتماماً لما يعترّيه من نقص. لكن في مقابل هذا التيار السائر نحو التهوّد داخل المسيحية المعاصرة لا زال هناك تيار يمثله اللوفابريون، وهم أتباع المونسنيور مارسيل لوفابر المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية، يرفض موجة التهوّد ويصرّ على الحفاظ على مسافة من اليهود ضمن تأويلية خاصة في فهم العهد القديم. وللتوضيح اللوفابريون هم فصل لاهوتي رافض لقرارات المجمع الفاتيكاني ويعتبرها فاقدة للقيمة الدغمائية، لما اتخذ المجمع من مواقف تمسّ الليتورجيا واللغة اللاتينية. فقد رفض اللوفابريون مواقف الكنيسة بشأن الانفتاح على الأديان الأخرى، حتى ولو كان ذلك الانفتاح براغماتياً، لاخترق شعوب تلك الأديان، واعتبروا ذلك مساً من مبدأ «لا خلاص خارج الكنيسة»، لما يقدرّون ما يتضمّنه من وقوف ندي، مع أديان، يعتبرونها زائفة ومنحرفة وضالة.

يبرز إيريو كاستلوتشي في بحثه المعنون بـ«قراءة مسيحية في أسفار بني إسرائيل» أن المتابعة التاريخية لتشكل السردية المسيحية اللاحقة للمسيح (ع) قد اعتمدت الاستحواذ على النصّ اليهودي، ومن ثمّ حصلت قراءة مستجدة ورؤية مغايرة أبعدها عن الفهم المسيحي البدئي لليهودية، فما كانت المسيحية البدئية ديناً مستقلاً عن اليهودية بل نشأت داخل حضن المعبد اليهودي وداخل الرؤية الدينية اليهودية. صحيح كانت اليهودية الفرّيسية والأطراف الأخرى الصادوقية والناموسية، تعتبر المسيح مبتدعاً ومجدفاً في الدين، ولكن المسيح (عليه السلام) ما كان ينوي الاستقلال

واحد والورثة اثنان». انطلق فيه صاحبه من فرضية استحالة فهم العهد الجديد بدون العهد القديم، فالعلاقة الرابطة كما يقول: هي علاقة «ذهاب وإياب» ثنائية، وليست من طرف واحد. والأناجيل والرسائل التي بين أيدينا اليوم والتي تمثل السند الديني الأقرب للمسيحي عن المسيح يتضاءل عمقها، أو بالأحرى يتلاشى مدلولها في غياب نص «التناخ» كما يرد بالعربية، وهي الأحرف الأولى لمسميات الأقسام الرئيسة من العهد القديم. «التاء» من كلمة تورا، وتشمل الخماسية، أي (سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية أو الاشتراع). وحرف «نون» نسبة للأنبياء، وتتكوّن من مجموعة أسفار الأنبياء المتقدّمين منهم والمتأخّرين: مثل يشوع وصموئيل وإشعيا وإرميا وعاموس وعوبديا. وأما حرف «الكاف» فهو مستوحى من تسمية الكتب، وهو يضمّ أسفار المزامير والأمثال والجامعة وغيرها، وهي الأقسام الثلاثة الرئيسة التي تكوّن الكتاب المقدّس اليهودي.

يجد الإنجيل تجذّره في الوسط اليهودي بموجب الجغرافيا الرسالية للمسيح (ع)، فقد ورد في إنجيل متى (١٥: ٢٤) «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» وفي موضع آخر «إلى طرق أمم لا تمضوا وإلى مدينة لسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٠: ٥-٧). في الواقع استهداف المسيح الرسالي لليهود برسالته هو نابع لديه من تصديق مطلق بالحقيقة التوراتية، فالديانة اليهودية هي بمثابة اليقين الثقلي. وضمن هذا السياق جاءت المفاهيم الدينية المسيحية سواء ما تعلق منها بمملكة الرب، أو بالسيا، أو بالعهد، مستوحاة من التصورات اليهودية.

ما توضحه أنثروبولوجيا الأديان أنّ الأصول الدينية

لقد عبّر الكاتب اليهودي يعقوب نوزنر عن واقع العلاقة الشائكة بين الدينين، وعمّا يلفّها من تباعد يبلغ حدّ التغاير، سواء من زاوية تاريخية أو عقديّة، قائلاً: ينبغي إدراكهما «اليهودية والمسيحية» كمنظومتين دينيتين مستقلّتين كلياً، وبالتالي لا يجوز حتى الحديث عن تولّد المسيحية من رحم اليهودية، لأنّ كلتا المنظومتين، في مستوى المرحلة التكوينية (القرن الثاني - القرن الرابع الميلاديين)، كانتا مكوّنتين من أناس مختلفين وتحديثان عن أشياء متباينة، ويتوجّه كل منهما إلى رهط مُغاير. فالطروحات التراثية التي تعتبر اليهود والمسيحيين «أقارب» من جانب ديني هي بمثابة أسطورة، لأنّ كليهما يقرأ «العهد القديم»، لكن لكلّ قراءته وتأويله وخلفيته. وردّ ذلك ضمن كتابه الصادر بعنوان «اليهود والمسيحيون: أسطورة التراث المشترك» (ميلانو، ٢٠٠٩).

الكتاب الحالي «المسيحيون وأسفار بني إسرائيل» الذي نتولّى عرضه، والذي تجنّد لتأليفه مجموعة من المؤرخين والأنثروبولوجيين واللاهوتيين الإيطاليين، حاول إعطاء خلاصة، وتوضيح موقف للمسيحيين من النصوص الدينية اليهودية التي تُعدّ مصدراً مُلهماً من مصادر الدين المسيحي أيضاً. فالكتاب مؤلّف جماعي سهر على إعداده برونيتو سلفاراني، وهو لاهوتي كاثوليكي وأستاذ علم التبشير ولاهوت الحوار في كلية إيميليا رومانيا للاهوت بشمال إيطاليا. صدرت لمعدّ الكتاب جملة من الأعمال متعلقة بالمجال الديني منها «لاهوت الأزمنة المرتابة» ٢٠١٨، «العامل الديني: الأديان إزاء واقع العولمة» ٢٠١٢، «لماذا ينبغي أن يحضر الدين في المدرسة؟» ٢٠١١ وغيرها من الأعمال.

جاء المبحث الأول من كتاب «المسيحيون وأسفار بني إسرائيل» من إعداد برونيتو سلفاراني بعنوان: «الكتاب



الدعوي، فضلا عما عبّر عنه مقوله في الإنجيل كان سائرا ضمن سياق الإتمام والسير على خطى الأسلاف، وهو مسلك سلكه كافة أنبياء العائلة الإبراهيمية إلى غاية النبي محمد (ص) حيث يزكي اللاحق السابق؛ والبعد الثاني يتمثل في القطيعة، وهو أن الرسالة المسيحية قطعت جذريا مع جملة من الشرائع اليهودية المغالية، ومن هذا الباب شكّلت قطيعة مع السابق؛ والبعد الثالث يتمثل في التجاوز، وهو أن المسيحية تخطت اليهودية في العديد من المسائل، وأنشأت تأويلية جديدة للمقول التوراتي وسعت في ترويجها، ولعل أبرزها التحول من التوجه لليهود رأسا إلى التوجه للعالم، وهو ما يتجلى ضمن هذا السياق في سعي التأويل المسيحي للاستحواذ على مفهوم المسيحية، ومن ثمّ على شخص المسيح. فما عاد المسيا شخصا في الغيب يُنتظر مجيئه ليخلص بني إسرائيل، كما بشر بذلك العهد القديم في العديد من المواضع، بل أضحت متجسدا في المسيح ليخلص العالم ويملا الأرض عدلا ونورا «فلا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتلقنون فنون الحرب بعد» (ميخا: ٤: ٣)، أو ما يرد في سفر إشعياء «ويحدث في آخر الأيام أن جبل هيكل الرب يصبح أسما من كل الجبال... فيقضي بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيفوهم محارث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد» (إشعياء: ٢: ٤-٤). تمثّل تلك العناصر الثلاثة المشار إليها جوهر العلاقة الرابطة للمسيحية باليهودية، وهي عناصر محورية في فهم طبيعة العلاقة بين اليهودية ومسيحية المسيح.

الكتاب في منتهى الأهمية من حيث معالجة قضية دقيقة متعلّقة بالعلاقة بين الدينين اليهودي والمسيحي، لكن ما يبقى خافتا ودون تعميق وهو إبراز الإطار السياسي المعاصر الذي ظهر فيه هذا الطرح الجديد في المسيحية. فليس دور الدراسات اللاهوتية الجادة، أو الأبحاث المتعلقة بتاريخ المسيحية واليهودية، بلوغ نتائج تتلاءم مع خيارات المؤسسة الدينية وإنما عرض الحقائق بمنأى عن تلك الخيارات المتقلّبة.

الكتاب: المسيحيون وأسفار بني إسرائيل.

تأليف: برونيتو سلفاراني.

الناشر: منشورات ديهونيان (بولونيا-إيطاليا)

«باللغة الإيطالية».

سنة النشر: ٢٠١٨.

عدد الصفحات: ٢٨١.

\* أستاذ تونسسي بجامعة روما



الأولى. إن أهالي المنطقة الفلسطينية وما جاورها، ممن جرّتهم أحداث التاريخ إلى التحول العرقي من اليهودية إلى المسيحية ثم الإسلام، تبدو النظرة العرقية للتاريخ وجلة ومتردة من توصيف هؤلاء وتحديد هوياتهم.

لقد ابتدعت عرقنة الدين اليهودي بقصد خلق هويات وهمية في الشرق، وهو منهج يجال في الحقيقة ويتناقض مع الفهم التاريخي الصائب لمكونات المنطقة. صحيح نشأ المسيح داخل الحاضنة الدينية اليهودية؛ ولكن هذا لا يعني أنه ينتمي إلى عرق وهمي. لعل هذا ما يلتقي بوضوح مع قوله تعالى بشأن إبراهيم عليه السلام «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» (سورة آل عمران: الآية ٦٦)، من حيث نفي صفة العرقية على الأنبياء والانفتاح بهم على أفق أرحب وهو التسليم والانتماء للتوحيد في أجل معانيه.

لكن التمعّن في هذا التمشّي في التعامل مع التاريخ الفلسطيني، وتبعاته مثل تهويد المسيح، هو قرار مؤسّساتي قبل أن يكون نتاج بحث علمي، صادر عن سكرتارية وحدة المسيحيين التابعة لكنيسة الكاثوليكية بنص «المسيح هو يهودي وإلى الأبد» وذلك ضمن وثيقة «اليهود واليهودية» ١٦٤٤-١٦٣٦/٩ أف ١-٩: هذا وقد بلغ تهويد المسيح أوجّه مع خلاصة البابا راتسينغر، في الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس «كلمة الرب» (Verbum Domini). حاول كل من بارتوليني دي أنجيلي وإيلينا ليا في المبحث الثالث الإتيان على بعض النقاط في هذا المجال، ولكن دون غوص في القضايا الكبرى.

من جانب آخر يبرز كتاب «المسيحيون وأسفار بني إسرائيل» أن العلاقة الرابطة بين الطرفين تتضمن وفق النص الإنجيلي ثلاثة أبعاد في التواصل مع الموروث التوراتي: البعد الأول يتمثل في الإتمام، حيث أن المسيح عبّر مشواره

بدعوة جديدة، كان ينشد إصلاح البيت الداخلي اليهودي وما طرأ عليه من تحويل وتغيير، لكن دعوة المسيح ذاته تعرّضت عقب محنته مع السلطة الرومانية وأنصارها من يهود المعبد إلى غلو، وفي زحمة الملاحقة والتشريد والمطاردة الذي ألمّ بالمسيحية الأولى إلى أن اعترف بها ديانة من جملة أديان الإمبراطورية عقب إعلان ميلانو (سنة ٣١٣ ميلادية) في عهد الإمبراطور قسطنطين، ثم كديانة رسمية في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (سنة ٣٨٠ ميلادية)، غدت نصرانية المسيح مسيحية وأضحى إنجيل المسيح أناجيل، لم تصل فيها حركة نقد الكتاب المقدس إلى نتائج نهائية رغم الجهود المبذولة منذ قرنين أو أكثر.

اليوم ثمة خطّ متطوّر في المسيحية الكاثوليكية ينحو للمصالحة مع اليهودية، وهي مصالحة قائمة على دعائم سياسية بفعل التحول الجاري في العالم، وهو ما شرع فيه منذ الانطلاق في مشروع «وحدة التراث اليهودي المسيحي» وطى صفحة الماضي. صحيح رحبت الأوساط اليهودية، سيما منها داخل إسرائيل، بهذه المصالحة «السياسية» لما لها من أثر براغماتي على الراهن السياسي، ولكن تبقى الأوساط الدينية اليهودية وجلة أمام تلك المصالحة الدينية. فاليهودية العقدية لا زالت ترى في المسيحية جسما غريبا بمنأى عن التوحيد النقي، وهو ما يضع عقبات جمة أمام تقارب الدينين. وإن تحاول المسيحية المعاصرة، مع إصرارها على مفاهيم التجسد والتأليه والتثليث، أن تحشر نفسها ضمن العائلة الإبراهيمية الحنيفية بدلالاتها التوحيدية الصارمة، فالأمر يبقى عسيرا ضمن التصور اليهودي والإسلامي أيضا. صحيح تشترك الأديان الثلاثة في جانب واسع من الرصيد الخُلقي وتتقاسم كثيرا من عناصر المخيال الديني، وربما تواجه التحديات ذاتها في المستقبل المنظور؛ لكن يبقى التماهي العرقي متعذرا بسبب الرؤية الثالوثية المسيحية، وهو ما يجعل اليهودية والإسلام أقرب على مستوى المفاهيم العقدية منه مع المسيحية.

كانت أبرز بدع مشروع «وحدة التراث اليهودي المسيحي» في المسيحية المعاصرة الإصرار على تهويد المسيح وتهويد الحواريين، ضمن عملية فجّة تنزع إلى عرقنة الدين اليهودي، والتغاضي عن أمر هام وهو أن اليهودية قبل أن تتحوّل إلى سمة عرقية كانت ديانة كسائر الديانات التوحيدية التي عرفتها المنطقة الفلسطينية، شائعة في ذلك المجال الإبراهيمي الرحب وليس في فلسطين وحدها، بل بلغ تمدّدها إلى شمال إفريقيا وإلى الجزيرة العربية. المسألة المناهية للصواب وهي إضفاء الطابع العرقي على اليهودية، فترة المسيح، والتغاضي عن أن اليهودية في منشئها وفي تمدّدها طيلة عهود طويلة هي ديانة وليست عرقا، وهو ما يمتدّ إلى القرون المسيحية



## الملاذ الأخير: الأزمة العالمية ومستقبل عمليات الإنقاذ.. لإريك بوسنر

محمد السالمي \*

لقد أثارت عمليات الإنقاذ خلال الأزمة المالية الأخيرة غضب الجمهور. لقد شعروا بأنه من غير العادل السماح للأشخاص بالفشل. إذا قمنا بمكافأة الشركات التي تقوم باستثمارات غير مسؤولة ، فتكلف دافعي الضرائب مليارات الدولارات ، ألن يشجعهم هذا على الاستمرار في التصرف غير المسؤول ، وتمهيداً للأزمات المستقبلية؟ هل انتهكت الحكومة الفيدرالية القانون و الأخلاقيات لإنقاذ الشركات الفاشلة مثل بير ستيرنز وشركة التأمين العملاقة AIG؟ وفقاً لإريك أ. بوسنر في كتابه «الملاذ الأخير»، فالجواب هو لا. حيث يرى أن انتهاك الحكومة الفيدرالية القانون بشكل متكرر في عمليات الإنقاذ هو من أجل المصلحة العامة.

بنك الاحتياطي الفيدرالي عن طريق إتاحة الائتمان للبنوك وغيرها من المؤسسات الأخرى. في وقت لاحق خصص الكونجرس أموال الخزنة لتعزيز النظام المالي للولايات المتحدة. والسؤال الأهم هل قام الاحتياطي الفيدرالي «بإنقاذ» النظام المالي؟ وفقاً للقاموس أن الإنقاذ «حدث عندما قدم أحدهم المساعدة المالية إلى شخص أو مؤسسة عندما لا تستطيع دفع الالتزامات. لكن هذا التعريف واسع جداً. لنفترض أنه ليس لدي ما يكفي من المال لدفع فاتورة بطاقة الائتمان بقيمة ١٠٠٠ دولار، لذلك أذهب إلى البنك المحلي وأحصل على قرض لشراء منزل، والذي أستخدمه لسداد فاتورة بطاقة الائتمان. ثم سددت قرض بيت المال على مدى السنوات القليلة القادمة. القرض المصرفي مؤهل كـ «خطة إنقاذ» تحت تعريف القاموس لأنه يوفر لي المال للابتعاد عن التخلف من سداد ديون بطاقات الائتمان الخاصة بي. لكن لا يوجد شيء خاطئ في مثل هذا القرض. البنك لا يفعل لي معروفًا؛ لأنه يفرض الفائدة لتحقيق الربح. هناك العديد من الخبراء الذين انتقدوا عملية الإنقاذ الحكومية، لأن الرأي القائل بأن بنك الاحتياطي الفيدرالي ذهب أبعد من اللازم، أو تصرف بشكل مشكوك فيه أثناء الأزمة المالية، يمكن أن يعزى إلى العديد من سمات الاستجابة للأزمة. أولاً، إن الحكمة التقليدية بشأن ممرض الملاذ الأخير هي أنه ينبغي إقراضه للبنوك وليس للمؤسسات المالية الأخرى. في المقابل ، قدم بنك الاحتياطي الفيدرالي قروضاً ضخمة إلى المؤسسات غير المصرفية. ثانياً، يعتقد العديد من الناس أن بنك الاحتياطي الفيدرالي يجب أن يدعم النظام المالي ككل بدلاً من الشركات المحددة حيث انتهك بنك الاحتياطي الفيدرالي هذه القاعدة أيضاً، وقدم العديد من القروض المخصصة ، بما في ذلك بنك الاستثمار بير

من قبل ممرض الملاذ الأخير. ثالثاً، ما زلنا لا نعرف كيف نقدم قرض الملاذ الأخير بشكل قانوني وفعال في الأزمات. يقول الكاتب إن عمليات الإنقاذ سيئة لأنها تولد خطراً أخلاقياً يتمثل في أنها تحمي الأطراف المتورطة من المخاطر، مما يشجع على الاستهتار وتأتي على حساب الناس العاديين الذين لا يفعلون شيئاً خاطئاً؛ حيث صادق الرئيس الأمريكي أوباما على قانون دود فرانك، والذي يؤمل منه حماية المستهلك من تصرفات البنوك الخطرة، ولجعل النظام أكثر شفافية، حيث يشدد القانون على معايير الإقراض، ويحد من انخراط البنوك في التداول في سوق الأسهم. إن إنقاذ الشركات أمر خاطئ ، أو هكذا يبدو، لكن كلمة «خطة الإنقاذ» يستخدمها الناس بطرق مختلفة ، وهنا تبدأ المشكلة. يمتلك مجلس الاحتياطي الفيدرالي وكذلك البنوك المركزية في جميع أنحاء العالم وظيفة معروفة باسم «ممرض الملاذ الأخير». لقد كان للاحتياطي الفيدرالي هذه الوظيفة منذ إنشائه في عام ١٩١٣ والغرض منه هو إقراض الأموال للمؤسسات المالية الغير قادرة على اقتراض الأموال أثناء الأزمة المالية، والانسحاب الشامل للائتمان، واكتناز الأموال النقدية. مارس بنك الاحتياطي الفيدرالي وظيفته كملاذ الأخير كما كان من المفترض، في حين أن الأزمة لم تتخذ شكل عملية تقليدية على البنوك التجارية العادية ، إلا أنها امتثلت للتعريف التقليدي للأزمة المالية. سحب الناس أموالهم أولاً من بعض الكيانات المالية التي تديرها البنوك والبنوك الاستثمارية ، والمؤسسات المالية في أسواق المال، ولكن هذه «بنوك الظل» أصبحت مهمة جداً للاقتصاد لدرجة أن فشلها تسبب في الانهيار الاقتصادي. بسبب الطبيعة الغير عادية للأزمة المالية، استجاب

لقد أدى غياب التعاطف المفهوم تجاه وول ستريت إلى حجب حقيقة أن عمليات الإنقاذ قد حدثت على مدار التاريخ الاقتصادي ولا يمكن تجنبها في أي اقتصاد حديث قائم على السوق، وهي في الواقع جيدة. خلافاً للاعتقاد الشائع، لا يمكن للنظام المالي أن يعمل بشكل صحيح ما لم تكن الحكومة مستعدة لإنقاذ البنوك والشركات الأخرى. خلال الأزمة الأخيرة، كانت القيود القانونية مدمرة ، ولكن الضرر كان محدوداً لأن الوكالات مع بعض الاستثناءات القليلة انتهكت القانون. ومع ذلك، أساءت الوكالات استخدام سلطتها. يقول بوسنر إنه إذا كانت الإجراءات غير القانونية هي ما تطلبه لتعزيز المصلحة العامة، فيجب علينا تغيير القانون، ولكن يتعين علينا القيام بذلك بطريقة تمنع الوكالات أيضاً من إساءة استخدام سلطتها. في أعقاب الأزمة، كان من المفترض أن الارتباك حول ما قامت به الوكالات، كان يجب فعله، وتم السماح له بالقيام به، مما منع إجراء تقييم واضح وواقعي، وقد يعيق استجابتنا للأزمات المستقبلية. بعد أخذ الاعتراضات الشائعة التي أثارها اليمين واليسار ، يقول بوسنر إن عمليات الإنقاذ المستقبلية ستحدث. وإذ نعترف بأن الحتمية ، يمكننا ويجب علينا أن نتطلع إلى الأمام ونقيم خيارات سياستنا بعناية قبل أن نحتاج إليها. يعمل إريك أ. بوسنر أستاذاً للقانون بجامعة شيكاغو، وهو مؤلف أو شارك في تأليف العديد من الكتب ، بما في ذلك القانون والسعادة ومخاطر النزعة القانونية العالمية. يتمحور كتاب الملاذ الأخير على ثلاث نقاط. أولاً، يجادل بأن الكثير من الاستجابة من جانب الاحتياطي الفيدرالي والحكومة الأمريكية لأزمة الرهن العقاري لعام ٢٠٠٨ كانت غير قانونية. ثانياً، ستحتاج الأزمات المستقبلية حتماً إلى عمليات إنقاذ أو توفير سيولة



أن «وول ستريت» حصل على معاملة مواتية مقارنة بالشركات في المواقع الأخرى والصناعات الأخرى. ويقول المساهمون في المجموعة الأمريكية الدولية إن الحكومة استولت على أسهم المجموعة الأمريكية الدولية لاتخاذ كبش فداء منها. ويزعم آخرون أن الشركات التي تعد أكبر من أن تفشل قد استفادت من سخاء الحكومة في حين أن الشركات الصغيرة للغاية لم تحقق ذلك.

في حين أن هذه التفسيرات تعكس عناصر من الحقيقة، إلا أن تفسيرات أخرى قد استحوذت على الاهتمام. مشكلة كبيرة ولكن غالباً ما يتم إغفاله مع عمليات الإنقاذ هو أن الشركات لا ترغب في قبول القروض الطارئة. وحتى عندما يقبلون قروضاً طارئة، فإنهم يخزنون المال بدلاً من إقراضه. لا ترغب الشركات في قبول قروض طارئة إذا استطاعت تجنبها لأنها تخشى من أن السوق ستفرد بها كعضو ضعيف في القطيع وتوقف الإقراض لها، مما يسرع من زوالها. القرض الطارئ تبين أنه أمر بالإعدام بدلاً من عملية إهمال. ولا تريد الشركات إقراض الأموال التي تحصل عليها لأنها تريد أن يكون لديها ما يكفي من النقود في حالة توقف الدائنين عن إقراضهم. هذه هي مشكلة: لا تستطيع الحكومة إجبار المقترضين على إعادة الأموال التي يتلقونها من الحكومة. هذه مشكلة كبيرة للحكومة لأنها لا تستطيع إعادة الثقة إلى أسواق الائتمان حتى يبدأ المقرضون التقليديون مثل البنوك في الإقراض مرة أخرى.

على الرغم من أن هناك الكثير من الكتب التي تتحدث عن الأزمة، فإن هذا الكتاب واحد من القلائد التي تحلل الشرعية بشكل صارم، وأيضاً السبل التي يمكننا بها إصلاح سلطات الحكومة لتحسين شرعية وفعالية قدراتها على إدارة الأزمات. كما يؤكد على الأهمية في تصميم أدوات سياسة و قانونية مناسبة لإعادة هيكلة قانون الملاذ الأخير.

اسم الكتاب: الملاذ الأخير: الأزمة العالمية ومستقبل عمليات الإنقاذ

المؤلف: إريك بوسنر

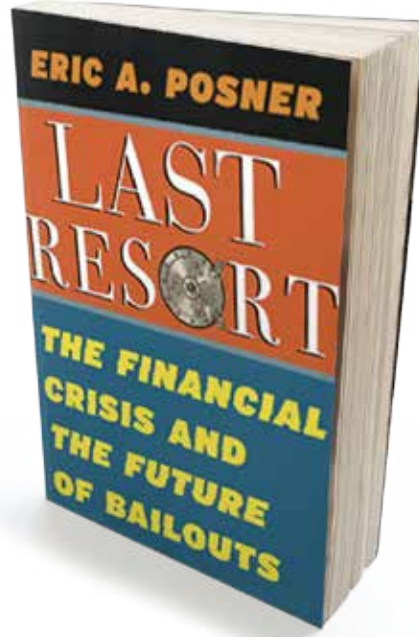
الناشر: University of Chicago Press

سنة النشر: ٢٠١٨

عدد الصفحات: ٢٧٢

اللغة: الانجليزية

\* كاتب عماني



وثيقين الصلة. الأول هو أن الحكومة استغلت الظروف الطارئة لمصادرة ممتلكات المدعين. والثاني هو أن الحكومة تعاملت مع المدعين بصورة غير عادلة أسوأ من المساهمين أو غيرهم من أصحاب المصلحة. ترتبط المطالبات ارتباطاً وثيقاً لأن الشروط العادلة هي تلك التي لا تستغلها. خلال الأزمة المالية، وجدت مؤسسات مالية لا حصر لها نفسها غير قادرة على اقتراض الأموال. كثيرون غرقوا في الإفلاس، لكن العديد من الآخرين اقترضوا أموالاً من الحكومة دون أن يطلب منهم التنازل عن بعض ممتلكاتهم أو حتى دفع أسعار فائدة كبيرة.

من هنا يجب فهم عدد من التعقيدات. أولاً، استفادت العديد من الشركات من الإقراض الحكومي الطارئ حتى عندما لم تقتض من الحكومة. عندما تقوم الحكومة «بإنقاذ» الشركة «س»، عادة ما يتخلص الدائنون من سداد ديونهم. في الواقع، قد يتم محو مساهمي «س»، كما حدث مع فاني و فريدي. استفادت العديد من الشركات الأخرى مباشرة من قروض الحكومة. هذه الشركات لم تضحى بالأصول ودفعت أسعار فائدة منخفضة للغاية. وفي كلتا الحالتين، احتفظ المساهمون بحصصهم في الأسهم لأن الحكومة إما مكنت شركتهم من دفع ديونها أو تمكين شركات أخرى من سداد ديونها لصالح شركتهم.

ثانياً، يطرح سؤال لماذا عالت الحكومة شركات معينة أسوأ «بطريقة غير عادلة» من غيرها. النظريات كثيرة. إحدى النظريات هي أن بعض الشركات استثمرت السلطة السياسية المتضخمة بسبب حنكة مديريها التنفيذيين أو الروابط بين هؤلاء المسؤولين التنفيذيين والمسؤولين الحكوميين. وهناك فكرة ذات صلة هي

ستيرنز و شركة التأمين العملاقة AIG. ثالثاً، خلال الأزمة، زعم العديد من المعلقين أن بنك الاحتياطي الفيدرالي كان يقترض الشركات المعسرة بدلاً من الشركات غير السائلة أي التي تفتقر للسيولة. رابعاً، إن الحجم الهائل لأنشطة بنك الاحتياطي الفيدرالي إلى جانب تلك الخاصة بمؤسسة التأمين الفيدرالية ووزارة الخزانة عندما قام الكونغرس بإعداد أموال الإنقاذ، تم وضع رد الحكومة خارج نطاق السوابق. وأخيراً، زعم العديد من المعلقين أن الحكومة أنقذت الشركات التي تصرفت بتهور. كان هذا غير عادل كما أنها مهدت الطريق للأزمات المستقبلية من خلال إبلاغ الأسواق بأن المستثمرين لن يتحملوا عواقب القرارات السيئة. ومع إدراكهم بأنهم سوف ينقذون في المستقبل، فإن المستثمرين لديهم اليوم كل حافز للمغامرة، ويتوقعون جني الأرباح إذا ارتفعت الأسواق وتجنب الخسائر إذا انهارت. هذا الحافز السيئ يعرف بالخطر الأخلاقي.

في حين أن العديد من الشركات تصرفت بتهور في المعنى الأول. وبالفعل كانت بعض الشركات تتصرف بطريقة غير مشروعة، فمن غير المحتمل أن سلوكها المتهور (أو غير القانوني) تسبب في الأزمة المالية. ربما تسبب السلوك المتهور في فشل بعض أو حتى العديد من الشركات؛ ولكن لم يكن هناك أي سبب لأحد أن يعتقد أنه سيسبب أزمة. ولهذا السبب، من غير المرجح أن تشجع عمليات الإنقاذ في الفترة ٢٠٠٨-٢٠٠٩ أي شخص على التصرف بتهور في المستقبل على حسب وصف الكاتب. الشركة التي تحمّل اليوم مشتقات محفوفة بالمخاطر من المحتمل أن تفلس ما لم تكن شركة كبيرة جداً. وللحماية، يعتمدون على الحكومة، كما ينص القانون. ومع ذلك، فإن تركيز هذا الكتاب ليس هو النقاش حول السياسة. إنه موضوع آخر مهمل إلى حد كبير ولكنه مهم بنفس القدر: سواء تصرفت الحكومة بشكل قانوني أم لا.

إن عدم وجود تعاطف مع وول ستريت، كما هو مفهوم، قد حجب بعض الأسئلة المهمة حول كيفية تصرف الحكومة خلال خطة الإنقاذ. وترتبط عدم قانونية تصرف الحكومة بالمسألة الأساسية لما ينبغي أن تكون عليه سياسة الإنقاذ وما ينبغي أن تكون عليه في الأزمات المستقبلية. إذا كنا نعتقد أن الإجراءات غير القانونية التي اتخذتها الحكومة دعمت المصلحة العامة، فسنحتاج إلى تغيير القانون حتى يتعرف المنظمون على المستقبل وما هو متوقع منهم. اتضح أن الدعاوى القضائية سواء فاز المدعون أو خسروا تكشف الكثير عن مشكلة عمليات الإنقاذ وكيف يجب تشكيل سياسة الإنقاذ. تتمحور الدعاوى القضائية حول شكلين



## ليف تولستوي في الإبداع والحياة لنيكولاي شاخماغونوف

### فيكتوريا زاريتوفسكايا \*

عندما يناقش الباحثون والنقاد أعمال الكاتب الروسي الكبير ليف تولستوي، وحين يراجعون تركته الأدبية الضخمة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر رواية «الحرب والسلام» و «أنا كارينينا» و «القيامة»، فإنهم لا يكتفون بالمدخل الأدبي وإنما تتعدد مداخلة إلى عالمه الواسع وذلك بتعدد المشارب التي استقى منها هذا الكاتب وبتنوع الأسس التي يقوم عليها أدبه. فمن بين الباحثين في حقل تولستوي، ثمة الفلاسفة والمؤرخون وعلماء النفس والخبراء في النفسانية العائلية. ولو أردنا أن نستقرئ المناخ الذي كان تولستوي يعمل بموجبه، سنجد، وبينما هو يتهيا لكتابة عمل ما، يدرس المواد التاريخية الأرشييفية بعناية فائقة، ولا تهدأ جوارحه قبل أن يصل إلى جوهر المسألة بوجهيها: النفسي والفلسفي، وذلك قبل أن يشرع بتحويلها إلى عمل فني. وقد تصادف تاريخياً أنّ الأدب الروسي الكلاسيكي في القرن التاسع عشر، كما كان يلاحظ العديد من الباحثين، حل محل الفلسفة. فلم تسلك الفلسفة الروسية في تلك الفترة طريقاً إلى المراقبي الفلسفية الصافية مثلما سلكتها الفلسفة الألمانية، ولكنها انتشرت وتعممت من خلال الروائع الأدبية في ذلك القرن الذهبي للثقافة الروسية، حيث ظهرت لنا نماذج من هذا الشكل المجازي في مؤلفات تولستوي ودستوفيسكي وغوغول وغيرهم من الكتاب الروس.

ثيمة أساسية في تأملات ليف تولستوي وركن أصيل ومحوري في معظم أعماله. كما أنه ينطلق من الأفكار المتعلقة بالسعادة الأسرية وبالتلاحم الزوجي المثالي لصياغة أعماله الفنية ونسج حيكته الفلسفية التحليلية. وقد ذهب تولستوي عميقاً في بحثه عن الأسباب التي تجعل بعض الزوجات سعيدة وغيرها شقية. فنرى أن مدخله إلى كبرى أعماله الروائية أي رواية «أنا كارينينا» هو هذه العبارة: «جميع العائلات السعيدة متشابهة، وكل أسرة غير سعيدة إنما هي غير سعيدة بطريقتها الخاصة» ومن الملاحظ أن تولستوي أولى أهمية خاصة لموضوعة الزواج في سنواته الإبداعية الأخيرة، ويمكن اختصار أفكاره تلك في هذا المقطع: «يأتي الزواج من ناحية الأهمية النفسية في مرتبة تالية للموت، والاثنان لا رجعة فيهما. والزواج، مثله مثل الموت، يصبح مجدياً فقط حينما لا يكون ثمة مفر منه. وإن كل موت متعمد شر، كذلك هو الزواج لا يصبح خيراً إن تم من دون حاجة ملحة وحقيقية إليه، أي حينما تُسد جميع الطرق ولا يتبقى سوى الطريق المؤدي إليه».

ويشير الباحث إلى حقيقة أن ليف تولستوي كان ناقداً لادعاً لنفسية مجتمع النبلاء العلماني الذي ولد وعاش فيه، وصاغ رأيه عن الفرد في هذه الفئة

ومن ناحية أخرى، وكما يشير إلى ذلك شاخماغونوف ويجدها مسألة بديهية، أن الكاتب الذي لم يشهد منعطفات حادة في حياته العاطفية لن يكون بوسعها الكتابة عن الحب والغيرة والعشق والهجر. فليس من قبيل الصدفة أنّ واحداً من أهم مبادئ الخلق الأدبي هو انسحاب صفات الكاتب على شخصيات عمله.

ويقف مؤلف الكتاب على عدة مقولات عرفت لتولستوي تعبر عن موقفه تجاه المرأة، وهو موقف محير إذا ما قورن بموقع المرأة في أدبه. ومن بين تلك المقولات: «فكر في مصاحبة المرأة باعتبارها مصدر إزعاج لا بد منه في الحياة العامة، وحاول أن تبعد عنها قدر المستطاع». وفي قول آخر: «لا يكفي أن نمنع المرأة من قيادة شؤون الحياة ولكن، فضلاً عن ذلك، يجب أن نراقبها لكي لا تدمرها». فما هي الأسباب التي جعلت من كاتب ومفكر بوزن تولستوي يطلق مثل هذه الأحكام عن المرأة، أي الوجه الجميل للبشرية؟ ما هي الأحداث التي مرّ بها هذا الكاتب العبقرى وأدت إلى هذه الاستنتاجات ذات النبرة المتطرفة؟ يحاول الباحث العثور على الإجابة لهذه التساؤلات والعديد غيرها فيما يتعلق بالحياة والحب في نظر تولستوي ورؤيته الأخلاقية.

وكما يثبت شاخماغونوف في كتابه فإنّ ثيمة الزواج

يكرس الكاتب الروسي نيكولاي شاخماغونوف، المعروف بمؤلفاته للسير الفنية والتاريخية، يكرس تولستوي في كتابه الجديد ليس باعتباره أديباً كبيراً، وإنما بصفته أخصائياً بارعاً في علم النفس العائلي وباحثاً متجنزاً في القومية الروسية ومؤرخاً فقيهاً لفترة الحروب النابوليونية، فقام بدراسة الأعمال الفنية لتولستوي وراجع يومياته التي بدأ كتبها وهو في عمر التاسعة عشر، واستمر فيها حتى وفاته عام 1910، كما تضمّن الكتاب أقوالاً لمعاصري تولستوي، فصاغ من كل هذا الثشيت رؤية متماسكة حول القيمة الإبداعية النفسية والفلسفية لهذا الكاتب العبقرى.

ويركّز الكتاب في المقام الأول على موقف ليف تولستوي المتناقض عن المؤسسة الزوجية والسعادة العائلية. ويدخل شاخماغونوف إلى هذا المضمار بطريقة قلما تطرق إليها الباحثون في سير الكتاب العظماء، حيث جرت العادة أن يستبعد الباحث، وبدعوى عدم تشويه صورة الكاتب المبدع أمام الرأي العام، يستبعد الحياة السرية والعاطفية للمبدعين، ويخفي تفاصيل من حياتهم الزوجية؛ بينما يؤكد نيكولاي شاخماغونوف على أهمية التولج إلى هذه التفاصيل وذلك من أجل الخروج باستنتاج علمي يضيء لنا شخصية المبدع ويوسّع مداركنا لاستيعاب فنّه وأدبه بشكل أشمل.





وفاة تولستوي بربع قرن ونيف. كما جادل تولستوي في موضوع الحكم الأصلاح لروسيا، حيث يعتقد جازما أن تسعين في المئة من الشعب الروسي يؤيدون الحكم الملكي ويعارضون الحكم الدستوري، فهم مقتنعون بأن القيصر الذي ألغى قانون القنانة (والمقصود هنا القيصر الكسندر الثاني) بيده أن يمنح الأرض للمزارعين والفلاحين، في حين لا توجد أية ضمانات ألا يستولي رجالا الحكم الدستوري الديمقراطي على الأرض ومن عليها.

ويستعرض الكاتب أقنوماً آخر لتولستوي وهو تولستوي المؤرخ، فقد اعتمد تولستوي في روايته المركزية الحرب والسلام على إرشيف ضخم من الوثائق حول حملة نابليون لموسكو عام 1812، وأثت من خلالها أجواء روايته ورسم شخصياتها. وقد كانت خطة تولستوي لكتابة روايته أن يضع الثوريين النبلاء الذين كانوا يطمحون في إقامة نظام جمهوري من خلال انقلابهم الفاشل في عام 1825، أن يضعهم في موقع متقدم في روايته العظيمة، ولكنّه، وبعد تمعنه في الأحداث التاريخية التي انبنت عليها رواية الحرب والسلام، استخلص أنهم لا يستحقون ذلك الموقع البتة، فاستبدل خطته الكتابية برمتها. وثمة سؤال آخر حير تولستوي ووضع أمامه عقبة في عمله الروائي الكبير هذا، ألا وهو شخصية نابليون نفسه، وأي صفات حقة تتصف بها هذه الشخصية التاريخية، إذ خلص في نهاية المطاف أنه رجل رث وجشع ومريض يبتهج بمشاهد الدم والموت.

في الختام نخلص من هذا الكتاب أن الشخصيات البارزة، سواء كانت شخصيات أدبية أو سياسة، عادة ما تكون على مستوى عالٍ من الثقافة في مجالات متعددة. وفيما يتعلق بالكاتب الروسي الكبير ليف تولستوي الذي عُرف كأديب وروائي نجد أن الدراسات الاجتماعية والنفسية والثقافية والأعمال التاريخية التي وضعها لا تقل إثارة وأهمية من أعماله الأدبية قاطبة.

الكتاب: ليف تولستوي في الحياة والإبداع.  
المؤلف: نيكولاي شاخماغونوف  
الناشر: فيتشي/ موسكو 2019  
اللغة: الروسية  
عدد الصفحات: 352

\* أكاديمية ومستعربة روسية



لروسيا يأتي من منطلقات سياسية واستراتيجية، إلا أن حضورها امتد إلى مستويات ثقافية وفكرية وأدبية، فهذه المنطقة التي لطالما شربت الكثير من الدم الروسي ودماء الشعوب القوقازية، استحكمت بأمزجة العديد من مشاهير الأدب الروسي وفي مقدمتهم شاعر روسيا الكبير ألكسندر بوشكين، والشاعر الكبير الآخر ميخائيل ليرمنتوف الذي سُفح دمه في أحد منحدرات جبل ماشوك القوقازي الرائع. ومن هذا المنطلق يعبر الباحث عن الحضور الكثيف لمتحركات التاريخ السياسي الروسي في أعمال الكتاب الروس، وما رواية تولستوي «الحرب والسلام» سوى ذروة إبداعية اجتمع التاريخ والأدب والسياسة في عمل فني بديع وخالد.

إلى جانب دراسته لتولستوي باعتباره خبيراً في العلم النفساني الأسري، يطالعنا الباحث على جانب فكري آخر طالما تمتع به عبقري الرواية الروسية، ألا وهو الفكر السياسي، فيقدم شاخماغونوف براهينه التي تؤكد على رؤيوية وتنبؤية تولستوي السياسية والتي يصفها بالذهلة. وفي هذا السياق يشير الباحث إلى أن تولستوي، وعبر اهتمامه المباشر بالسياسة الداخلية الروسية، وزياراته التي كان يقوم بها إلى المناطق الساخنة في بلاده، راكم خبرة عظيمة ساعدته على وضع السيناريوهات المتوقعة لمستقبل البلاد. يقول المؤلف: «لقد كان تولستوي مقتنعاً بأن التصور الوطني الحقيقي لروسيا يتمحور في فكرة التنظيم الاجتماعي منزوعاً من الملكية الفردية للأرض. فالشعب الروسي يُنكر ملكية الأرض، والثورة الروسية القادمة لن تكون ضد القيصر وإنما ضد تملك الأرض» (ص: 307). وهذا بالفعل ما جاءت به الثورة البلشفية بعد

الاجتماعية بقوله إنه كلما علا شأنه في الرأي العام بخست قيمته في نظر نفسه. أما عن الفكرة التي تبناها المجتمع للزواج، وبأنها الضامن الوحيد لحياة أسرية سعيدة، فإن لتولستوي رأياً مخالفاً يلخصه الباحث على النحو التالي: «إن السبب الرئيسي في المشاكل التي تعاني منها الأسر هو أن الناس نشأت على فكرة أن الزواج يمنح السعادة، وبأنه الموثل الضامن لحياة جنسية واعدة، كل ذلك يتم دعمه وتزكيته من قبل المقولات الاجتماعية الجاهزة وعبر الأدب الذي نقرأه، ولكن الحقيقة أن الزواج ليس كله سعادة بالمطلق، فثمة المعاناة والعبودية والشعب والاشمئزاز وجميع أنواع العيوب الروحية والجسدية، وهناك الخداع والكسل والبخل والطمع وكل الرذائل التي يصعب على المرء تحملها في نفسه، فكيف وهي تأتي من شخص آخر؟ إننا نقرأ الروايات ونختمها بزواج البطل والبطلية، ونحن بذلك نقطع الحكاية، فالزواج هو بداية الأشياء وليس خواتيمها؛ هذا أمر شديد الشبه بوصفنا لرحلة شخص ثم نقوم بإنهاء الوصف في اللحظة التي يقع فيها المسافر بيد قطاع الطرق» (ص: 276 - 278).

ومن الأسئلة التي يطرحها الكاتب في مؤلفه، مستعينا في كل مرة بحياة الكاتب ليف تولستوي كمثال لتحليله وكطريق ماهد لأطروحته، ثمة عملية التقاطع بين الكاتب وعمله الإبداعي، وبين الحياة اليومية المضجرة التي يعيشها. يقول في هذا الصدد: «من المهم لدى الكتاب المحنكين أن يكون هناك فاصل نفسي وتقني بين الحياة التي يعيشونها والكتابة التي يعملون عليها؛ فنجد أن معظم الكتاب، وما أن يدخلوا إلى عالم الكتابة والإبداع حتى ينقطعون عن العالم الواقعي الذي يعيشونه، حتى وإن كان ثمة انعكاس بين العالمين، إلا أن لعالم الكتابة لحمة متفردة وصياغة فنية لها منطقتها الخاص. أما الأمر لدى تولستوي فمختلف، حيث لم نعد نعرف معه أين يبدأ عالمه الواقعي وأين ينتهي عالمه الإبداعي، كما نجد أن أسرته تمثل واقعا محايثا ومتداخلا مع كتاباته الروائية، وبالتالي فنحن حينما ندرس أعمال تولستوي ونؤرخ لها نقوم كذلك بتاريخ الحياة العائلية لهذا الكاتب».

ومن الأصدقاء الخارجية التي تلقاها الكاتب الروسي ليف تولستوي وأثرت عميقاً في جانب مهم من إبداعه، يذكر الباحث ما يُعرف في روسيا بالظاهرة القوقازية في الأدب الروسي؛ وقد خدم تولستوي في العسكرية في جبال القوقاز وكتب عن تلك الأنحاء فيما بعد. ومع أن خضم الحروب المتواصلة في هذه المنطقة الجنوبية



## إمارة اللثام عن إفريقيا، أمكنة وممارسات الاستكشافات

### في غرب إفريقيا (١٧٨٠ - ١٨٨٠).. لإيزابيل سورون

سعيد بوكرامي \*

منذ بداية القرن الثامن عشر، أصبحت إفريقيا محط اهتمام المجتمعات الأوروبية المتعلمة والدوائر العلمية التي وضعت على عاتقها مهمة إمارة اللثام عن أسرار هذه القارة القريبة جدا، لكنها رغم ذلك ما زالت مجهولة. ولكشف النقاب عن إفريقيا كان ينبغي إرسال البعثات لسبر مجاهلها، والإشراف عن بعد على المجموعات العلمية لجمع المعلومات الجغرافية وملء الفراغات على مستوى الخرائط الجغرافية. كان غرب إفريقيا أول منطقة اجتازها المستكشفون الأوروبيون مزودين بتعليمات علمية، لكن بعد قرن تقريبا من البعثات الاستكشافية سرعان ما تحولت إلى حملات غزو واستعمار. في «إفريقيا الداخلية»، كان المسافرون يعتمدون بالكامل على الزعماء الأفارقة الذين يملكون القدرة على فتح أو إغلاق الطرق وتوفير المرشدين والمترجمين الذين يسهلون الرحلات. كما اعتمدوا على التجار المحليين الذين كانوا يوفرون المأوى والدخن. وللتنقل في هذه المساحات الشاسعة، كان المستكشف يشارك في تجربة جديدة بالكامل، جسدية ونفسية واجتماعية وثقافية، حيث تبنى المعرفة من خلال الممارسات اليومية والتفاعلات الملموسة مع الفضاءات المأهولة والشاغرة. وبذلك يصبح الاستكشاف احتكاكا مع مجموع الأماكن التي تتكشف فيها هذه الممارسات من قبيل التواجد في مكتب الجغرافي، وقاعة الاجتماعات لشركة متخصصة في الجغرافيا، وتحديد الأفق الذي يوجه نظرة الرحالة، والطريق المخطط له مسبقا، والمسار الذي سيعبره فعليا، والمرور عبر ضفاف الأنهار، والإقامة في منزل أحد الأعيان الذين يستقبلون الرحالة، والتشاور داخل الخيمة مع المرشد، وجمع العينات، والكتابة اليومية في دفتر الملاحظات، ورسم الخريطة على الرمال أو على الورق. كل هذه الخبرات والتجارب تمكن المستكشف في رحلاته من التعرف على الإنسان و الأمكنة والأشياء واحتمالات النجاح أو الفشل.

حد سواء. والهدف منها الحسم في المواقع المستكشفة من حيث الفائدة المادية من عدمها. كانت هذه الحملات الاستطلاعية تثير الكثير من الخلافات الدولية خصوصا بين الدول ذات الحضور القوي على الساحة الدبلوماسية.

تتناول دراسة إيزابيل سورون أيضا بعض الجوانب الجمالية الكامنة في العديد من مدونات المستكشفين التي أعنت خيال مؤلفي روايات المغامرات الذين استعاروا منها معطيات مهمة. ومع ذلك يهيمن موضوع واحد تقريبا داخل مظان الكتاب ونجده في كل مرحلة من مراحل تفكير الكاتبة في تاريخ الاستكشافات، يتعلق الأمر بحديثها المستمر عن نظرية المعرفة وتقصد المنطق الفكري الذي يمكن من إنجاز الخرائط والطريقة التي نظروا بها في عين المكان إلى الفضاء الإفريقي، وما واكب هذه المعرفة المستكشفة من نقاشات وخلافات شديدة حول تقييم المعرفة المتراكمة من قبل المستكشفين الذين حدوا تعريفا معينا للجغرافيا وممارسة هذا العلم. في كتابها، تقدم إيزابيل سورون أيضا أطروحة قوية مفادها أنه لا يجب اعتبار استكشاف غرب إفريقيا بين أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر الفعل الافتتاحي لاستعمار الشعوب الإفريقية من قبل الأوروبيين. فالبعثات التي اهتمت بها المؤلفة تكشف، على النقيض من ذلك، لأنها «تشكل تجربة من اللقاء الإنساني،

الممارسات، التي تحدث داخل العديد من الفضاءات، بحيث تبدأ الاستكشافات في الواقع من مكتب العلماء الذين يحددون المناطق المفترض استكشافها، فيعينونها داخل الخرائط من خلال تبادل المعارف بين أعضاء شركات الجغرافيا المختلفة التي تقدر قيمة الاكتشافات التي ستتم بعين المكان.

إن غنى عمل إيزابيل سورون يسمح لنا بالحديث عن الاستكشافات من جانب «الواقع الاجتماعي» لأن الكثير من الموضوعات المختلفة ذات الصلة والمجهولة تتناولها الباحثة. كما أن تحليل هذه البعثات يتقاطع مباشرة مع التاريخ المادي للمعرفة. ومن أجل التنقل، وجمع أو نسخ البيانات والمعطيات، كان المستكشفون يعاؤون في الواقع العديد من الوسائل المرتبطة بالتقنيات العلمية. إن تاريخ هذه الاستكشافات غير أيضا الطابع المؤسسي للعلوم. لهذا السبب جرت العديد من الرحلات برعاية الجمعيات العلمية. مثل توصيات الجمعية الأفريقية، التي تأسست في انكلترا في ١٧٣٨، والتعليمات الموجهة للمستكشفين عن طريق الجمعيات الجغرافية في باريس (التي تأسست في عام ١٨٢١)، وبرلين (أنشئت في عام ١٨٢٨) ولندن (تأسست في ١٨٣٠) التي ضمنت نوعا من المعايير الموحدة أثناء الرحلات. كما أن مؤسسة التنقيب أصبحت تسير جنبا إلى جنب مع المراسلات الشخصية بين الشركاء الرأسماليين والمغامرين على

تناولت الباحثة والمؤرخة إيزابيل سورون أكثر من ثلاث وأربعين رحلة، قام بها رحالة فرنسيون وبريطانيون وألمان بين ١٧٨٠ و ١٨٨٠ في غرب أفريقيا، وهي منطقة من القارة تضم في معظمها بلدانا مطلة على خليج بنين (موريتانيا والسنغال والسودان الفرنسي (مالي حاليا)، وغينيا الفرنسية، وساحل العاج، وفولتا العليا (بوركينا فاسو حاليا)، وداهومي (بنين حاليا) والنيجر). في مقدمة الكتاب، تضع الكاتبة موضوع المستكشفين ضمن علم التأريخ الحديث وتقدم خياراتها البحثية انطلاقا من النظر في التفاعلات بين المستكشفين والسكان الأصليين لأن التاريخ يشكل أفقا، وهدفا، يضع الجهات الفاعلة الواقعة على جانبي هذا التفاعل على قدم المساواة إنسانيا واجتماعيا.

تنقسم فصول الكتاب إلى ثلاث مراحل: مرحلة الاستكشاف لمنطقة غرب إفريقيا، كمشروع علمي سينتهي به المطاف إلى مشروع استعماري ثم تنتقل إلى مرحلة الممارسات والاستراتيجيات التي دونها المستكشفون وأخيرا تختم بطريقة استقبالهم في بلدانهم الأوروبية وما شابها من نقاشات ومجادلات علمية وسياسية. وانطلاقا من ذلك تعكف المؤرخة طويلا على تجارب أولئك الذين قادوا هذه الحملات. مولية أهمية قصوى للجانب التحليلي لهذه التجارب الميدانية. فهي تدرك أن معظم الرحلات تتشكل من مجموعة واسعة من



اللحظات: لحظة تبادل الهدايا بين المستكشفين والنخب المحلية. كانت قيمة الهدايا مفهومة بطريقة ما حسب التقدير المتبادل لهيبة الآخر وقيمه داخل القبيلة، وتحدد قيمتها من طرف فاعلين استراتيجيين.

خلال المناسبات العديدة التي اجتمع فيها الأوروبيون والأفارقة، يظهر أن الجسد لعب دوراً رمزياً حاسماً، لأنه بطريقة ما أول وسيلة يستعملها المستكشف، مادام التقدم المادي داخل الفضاء هو الشرط الأساسي لمراكمة المعرفة الجغرافية. ولكنه أيضاً أحد أهم عناصر التفاعل: ألا يعني اللون المختلف لبشرتهم أن المستكشفين يؤمنون بألهة أخرى؟ هل عليهم بعد ذلك إخفاء إيمانهم؟ لتسهيل تقدمهم؟ هل يجب عليهم ارتداء الملابس التقليدية المحلية؟ إلى أي مدى تغير الاختلافات الثقافية العلاقات بين جنسين مختلفين (أسود/أبيض)، تكون سيمائهما عبارة عن صور وتجليات ذات دلالة متناقضة في أغلب الأحيان؟

بهذا الكتاب المميز، تعمل إيزابيل سورين على إبطال الرمزية عن الاستكشافات؛ إذ تخلص الكاتبة إلى أن المستكشف هو في الواقع ليس بطلاً بروميثانياً استحوذ على إفريقيا بشكل رائع، ولا هو الضابط المغوار حامل الرسائل الذي يعلن بوصوله إلى القارة الإفريقية ولادة الإمبراطوريات.

لم يكن تناول إيزابيل سورين الأستاذة الجامعية في مادة التاريخ المعاصر في جامعة ليل، لهذا الموضوع اعتباراً بل جاء استكمالاً لبحوثها السابقة، فهي متخصصة في التاريخ المقارن للاستعمار وتاريخ إفريقيا وتاريخ المعرفة. ركزت في أطروحتها، التي دافعت عنها في عام 2003، على: جغرافية الاستكشافات: الخرائط، والتضاريس ونصوص الرحلة: غرب أفريقيا، 1780-1880 تحت إشراف دانيال نوردمان. كما تناولت الممارسات الجغرافية في غرب أفريقيا وشمال شبه جزيرة الهند الصينية في القرن التاسع عشر.

**عنوان الكتاب: إمطة اللثام عن إفريقيا، أمكنة وممارسات الاستكشافات في غرب إفريقيا (1780 - 1880) المؤلفة: إيزابيل سورين الناشر: منشورات جامعة السوربون. باريس فرنسا سنة النشر: 2018 الصفحات: 382 ص اللغة الفرنسية**

\* كاتب مغربي



إن «رسم الخرائط» للمعرفة هو التسلسل النهائي الذي يغلق بطريقة ما الدائرة التحليلية التي رسمتها المؤلفة في دراستها (من الأبيض في الخريطة... إلى لحظة ملتها). تمثل هذه العملية تثبيت المعايير المشروعة للتعريف وممارسات الجغرافيين. من خلال السعي، على سبيل المثال، لتمثيل مسافات الأمكنة المقدر على الأرض ليوم من السير، ويقوم الجغرافيون بنقل العديد من المعطيات. إذا كانت شهادة السكان الأصليين، التي جمعها المستكشف بعناية، مفيدة للعلماء الأوروبيين، فإن استخدام خرائطهم الخاصة أمر غير وارد. ليس لأنها مليئة بالمعطيات الخاطئة، بل لأنهم يمثلون معرفة متراكمة، ومصطنعة ومستغلة وفق طرق تفكير أخرى.

إذا كانت الدراسة قد دفعت المؤلفة إلى مضاعفة الملاحظات حول طرق التفكير وممارسة الجغرافيا بين عامي 1780 و1880، فإنها سمحت لها أيضاً بتطوير فكرة مهمة تقول إن الاستكشافات في غرب إفريقيا في هذه الفترة ليست مرادفاً للهيمنة الكولونيالية، ولا تمثل بدايات استعمار هذا الفضاء. لذلك تأسف الكاتبة للربط بين الاستكشاف والاستعمار الذي عمل على جعل القرب الزمني والتمكن من الكشف عن الأسرار الجغرافية لهذه المنطقة الإفريقية إلى عامل سببي أدى إلى الحملات الكولونيالية. من التحليل الدقيق لمدونات المغامرين، يبدو أن رحلاتهم كانت تتخللها لقاءات ومحاورات لا يتمتعون فيها بميزة التفوق. ويرجع السبب إلى حاجز اللغة، والتبعية اللوجستية، والتقدم في مناطق متشابكة بوجود العديد من المؤسسات السياسية «تضع الرخالة في حالة من التفاعل مع الأفراد أو الجماعات من خلال إجباره على التفكير في أساليب المعاملة بالمثل داخل هذه العلاقة» (218). ومن بين تلك

تشكلت أساساً من خلال التفاعل الثقالي الذي يتحكم فيه الفضول العلمي والرغبة في التعرف على الآخر» (ص 190) بين المستكشفين والسكان المحليين.

تقول إيزابيل سورين، إن البقعة البيضاء على الخريطة التي تمثل غرب إفريقيا، هي التي أيقظت نوعاً من الحراك الاستكشافي نحو هذا الجزء من القارة. وكأن هذا الفراغ الخرائطي أوحى بأن الفضاء الممثل هكذا كان خالياً من العقبات جميعها، ومنفتحة على إمكانية القيام بالرحلات كلها. في حين، تواصل المؤلفة، من الممكن أن يكون ذلك مجرد «اصطناع لبياض في الخريطة» (ص 46) خصوصاً وأن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت ماتزال الخرائط غير دقيقة وكان لابد «من

إعادة تحديد الجهات المعروفة وغير المعروفة» (ص 52). لفترة طويلة، كانت تحتوي خرائط القارة الأفريقية على بيانات تنتمي إلى سجلات مختلفة ومتضاربة من المعرفة الجغرافية. فلم تكن المعلومات الجغرافية عن مسار السواحل دقيقة أو الإشارة لأسماء الأماكن محددة بدقة وصرامة. على سبيل المثال، أظهر تمثيل الحيوانات البرية نوعاً من الجودة أكثر من المعرفة الطوبوغرافية. مع إنشاء الجغرافيا الإيجابية، التي تمثلها خرائط الجغرافي جان باتيست دانفيل (1697-1782)، لم تعد مسألة تمثيل مكان ما بحسب ما يعرفه المرء عنه ولكن من خلال موقعه الجغرافي، وبالتالي، يختفي كل ما لا يمكن تحديده بدقة «(ص 48). إن تطور الجغرافيا النباتية، بالتوازي مع الجغرافيا في مطلع القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هو بطريقة ما الانعكاس التجريبي لهذه التطورات الخرائطية. وهو أيضاً، الشاهد على ظهور «شبكة جديدة من القراءة لسطح الأرض (ص 233) لم يعد المستكشفون ينظرون إلى النباتات باعتبارها عناصر من مجموعات نباتية شاسعة يتم تشكيلها، ولكن كعلامات تسمح بوضع الحدود الجغرافية بدقة للمساحات المختلفة. تكشف أيضاً المناقشات العلمية المتعاقبة حول عودة المستكشفين عن إجماعهم على عدة مبادئ ناشئة عن «مرجع مشترك يرسم معالم العلم الطبيعي» (ص 288). وعلاوة على ذلك، أضاعت الخلافات الكثير من الجوانب الملتبسة كما حدث مع ملاحظات الرحالة رينيه كايلى، الذي يعتبر أول أوروبي يعود حياً في عام 1828 من تمبوكتو في مالي، ودليل على ذلك أن المغامر الفرنسي واجه عدة تحقيقات اعتمدت على سجل أخلاقي لا تأخذ في الحسبان الاعتبارات الاجتماعية، أكثر مما تستند إلى مبادئ المنطق العلمي. وقد قلل تحليلهم لتلك المرحلة من المصادقية الممنوحة للخبرة الميدانية مقارنة بالمنجزات العلمية داخل المكاتب الدراسية.



## الصديق والعدو: التدهور، الانحطاط، والخلاص لأرنون غرونبيرغ

سعيد الجبري \*

تُشخّص ثنائية «الصديق - العدو» في الفكر السياسي المعاصر، بوصفها واحدة من أهم الثنائيات المُحرّكة للعلاقات، واشتعال الحروب أو افتعالها، في سياق ما يُعرف بصناعة العدو، وفق مفاهيم يشتغل عليها الساسة، بالتوازي مع ثنائية أخرى «نحن - هم» التي يذكي مفعولها اليمين المتطرف. ولعل كتاب «الصديق والعدو» للباحث أرنون غرونبيرغ - وهو واحد من أشهر الكتاب الهولنديين، سواء في الداخل أو في الخارج، وحائز على جوائز عديدة، وترجمت أعماله إلى أكثر من ست وعشرين لغة - يقدم مُراجعة فكرية جادة للمفهوم بحسب السؤال المحوري الذي كرّسه المفكر السياسي الألماني كارل شميت (1985-1888) في كتابه «مفهوم السياسي»؟

لكن أليس التاريخ البشري عبارة عن سلسلة من الكوارث التي تُعطيها، بعد ذلك، معنى؟ وهل تُدرك «من نحن؟» من خلال ما حدث لنا من عبودية واضطهاد؟ وهل يؤدي ذلك إلى الإيذاء والعدوان؟ يرى غرونبيرغ ذلك بالبحر، في كتابه المثير للاهتمام، منسجماً مع كل من الفيلسوفين: الألماني والتر بنيامين، والفرنسي جاك دريدا اللذين يريان أهمية أن تظل جرائم الذاكرة متقدمة، في سياق الصفح - كمفهوم مهاجر من الإيمان إلى السياسة - للحيلولة دون تدفق جرائم الماضي. ولئن كان غرونبيرغ يعتقد ببساطة ألا واقعية لفكرة أننا نعيش الآن في أسوأ المراحل، فإن ذلك الاعتقاد لا يزيح التساؤل عما إذا أصبحت الحضارة الغربية في حالة انحدار، بعد أن أدمن الغربيّ الازدهار وبات يشعر بالقلق على الراحة والصحة والسعادة، فهو يتجنب أي شكل من أشكال الخطر الجسدي، وتتوافق قناعاته مع تفضيل الحوار على العنف.

النتيجة النهائية لهذا العداء؟ فهذه هي الحرب، كما يقول شميت، وهذا أمر طبيعي أيضاً. لذلك عليك أن تسأل نفسك عن منتهى حدودك، حتى لا تصل إلى هذا الحد. فالحفاظ على السلام الداخلي هو الدور الرئيس للدولة، حيث يمنعك من أن ترى في جيرارك عدواً، وأنت تحاول توجيه مدفعك الرشاش إليهم. وهذا هو على المحك اليوم؛ لأن بعض السياسيين الغربيين يخلقون أعداء داخليين، كالمسلمين، على سبيل المثال. الأمر الذي يمكن أن يؤدي في نهاية المطاف إلى الكثير من الاضطرابات الاجتماعية في المجتمعات الغربية نفسها.

إنما لعل لذلك علاقة بأحداث 11 سبتمبر 2001 التي قدمت صورة مختلفة، بالفعل، للعالم والإنسان، هي صورة الخوف والبحث عن الأعداء، أو تحويلهم إلى عدو، أولاً من قبل ابن لادن، ولاحقاً من قبل الآخرين. ولكن ما مدى صحة أن يكون أحدهم عدوياً تلقائياً بمجرد أن يخبرني أنني عدوه؟

في الحقيقة، هناك سبب كبير للتساؤل اليوم، لكننا لم نعد نرى ذلك بسبب خوفنا وانتشار صور العدو أو هيمنتها في الفضاء الإعلامي بوسائله المتعددة. ففكرة أننا نعيش الآن في أسوأ الأوقات هي ببساطة غير حقيقية، إذ يعتقد غرونبيرغ أن لهذا علاقة كبيرة بالهوية، و ببعض السياسيين

مما يعيد غرونبيرغ النظر فيه، في مفهوم شميت السياسي، مقولته إن عالماً بدون تمييز بين الصديق والعدو هو، بالنتيجة، عالم بلا سياسة، فإن المجتمع لكي يكون مجتمعاً حيويًا بحق، يحتاج إلى أعداء. ويرى، من ثم، أن المواطن العالمي يمثل خطراً، إذ كيف يمكن لدولة ما (أو كيان سياسي) البقاء على قيد الحياة إذا كانت غير راغبة في شن الحرب في أسوأ الحالات، أو لا تعرف من هم أعداؤها؟

هل الغرب علماني أكثر من أن ينظر إلى الآخر على أنه عدو، في الوقت الذي يرى فيه «المتطرفون الدينيون» الغرب عدواً؟ يدرك غرونبيرغ أن بالمجتمعات بحاجة إلى أعداء للتعرف على نفسها، وأنها تنشأ من خلال التذكير المشترك أو الحرمان من العنف التاريخي. وعلى الرغم من ذلك، يجد أن ثنائية صديق/عدو - بحسب كارل شميت - هي تعريف سياسي. فالقوميون الغربيون أمثال دونالد ترامب يعتقدون أنهم يستطيعون تشجيع الأعداء واللعب معهم؛ لأن الحرب لن تصل إلى ولاياتهم ومدنهم المزدهرة على أي حال. لكن سقوطهم - يقول غرونبيرغ - هو جزء من هذا التناقض، على الرغم من أننا لا نستطيع أن نستبعد أنهم سوف يجرفون الآخرين بزوالهم. وفي سياق ما يخلقه السياسيون من مآزق، ينبغي التساؤل دائماً عن ماهية الدولة والمجتمع، وكيف ندافع عنهما، وما هي

يتألف الكتاب من قسمين رئيسيين، يُحيطان بسؤال رئيس انبنى عليه الكتاب باعتباره إجابة مفصلة تعيد قراءة ذلك السؤال ومساءلته من جديد، في ضوء التحولات والمتغيرات التي حدثت منذ أن طُرح أول مرة عام 1927، إذ اتخذ غرونبيرغ سؤال كارل شميت: هل بالإمكان أن يوجد الإنسان بلا عدو؟ مدخلاً جدلياً، تليه الإجابة المقترحة التي تشكل متن الكتاب متضافرة في خمسة مباحث:

الإنسانية وحلفاؤها

العنف والمجتمع والتاريخ

ما هو السياسي؟

اللاهوت

موت العدو

الكتاب مقارنة جادة لعمل شميت، ولاسيما كتابه «مفهوم السياسي»، حاول فيها المؤلف صياغة إجابات على التساؤلات الجوهرية التي طرحها صاحب نظرية العدو في السياسة، وأحد أهم فلاسفة السياسة الألمان في القرن العشرين والمنظر القانوني المثير للجدل، الذي تقوم نظريته السياسية على أساس التمييز بين الصديق والعدو، باعتباره معياراً حاسماً في تحديد «السياسي»، فوقف غرونبيرغ على أسئلة عديدة مثيرة للاهتمام، محورها: ما السياسي؟ ما الدولة؟ ما العداوة السياسية؟ وهل الحرب نتيجة العداوة؟



المنافسة، غالباً ما يكون هناك عداء مهما تختلف خلفياته وتمظهراته.

وبقدر ما يقارب غرونبيرغ في كتابه هذا سؤالاً مهماً في أدبيات الفكر السياسي المعاصر - يعيد نفسه بقوة في إطار الاستقطابات الحالية - فإنه يقدم إجابة موازية تتضمن تجارب فكرية مثيرة للاهتمام، وتستثير أسئلة سياسية جديرة، اليوم، ببحث أكثر شمولاً في القضايا الراهنة التي يمور فيها العالم بتحويلات، و تناقضات، واهتزازات تمس كثيراً من اليقينيّات السياسية والمسلمات والأفكار المتواضع عليها، وترشّح ما قد يضع تحديات جدية أمام ما قد تم إنجازه على مستوى التحول الإنساني في الدساتير والقوانين ونظم العقد الاجتماعي في فضاء الديمقراطيات والحريات العامة، حيث يبدو «اللاهوت السياسي» محاولة لاكتساب نظرة ثاقبة إلى طبيعة الحداثة، ويصبح المجتمع والأحزاب والدولة، في الديمقراطية التمثيلية، مرتبطين بشكل لا ينفصم. وتتجلى السلطة مخففة في سياسة استشارية ليبرالية ناعمة، يغدو معها العنف والعداء جزءاً من ذكريات أزمنة الحرب، في حالة من حالات التطور التي يصفها غرونبيرغ بقوله: «لقد أنتجت ثقافتنا (الجزائر النباتي)، وستنتج في نهاية المطاف الحرب اللاعنفة». الأمر الذي يضع المجتمعات المعاصرة إزاء اختبار حقيقي: أ تصمد تلك القيم الإنسانية المكتسبة أم يمسه شيء مما يخطط له المناوئون، بدعاوى مختلفة تشتغل على تناقضات اللحظة، وجدلية الثنائيات الضدية، وجاذبية الهويات التي تستوجب قراءات معمقة أو إعادة قراءة أحياناً، بقصد تفكيكها مفهوماً، واستجلاء محددات التكتيكي والاستراتيجي في كل مرحلة من مراحل تطور الفكر السياسي في العالم المعاصر.

الكتاب: الصديق والعدو  
المؤلف: أرنون غرونبيرغ  
الناشر: برومئوس  
سنة النشر: ٢٠١٩  
اللغة: الهولندية  
الصفحات: ١١٢

\* باحث زائر في معهد هيغنز للتاريخ

الهولندي



فيها من يحتاجون إلى مجتمع حقيقي، وفيها أيضاً من لديهم ميول قبائلية. لذا ينبغي أن يؤخذ ذلك على محمل الجد، دون دعم التطرف القومي اليميني. لكن السؤال هو كيف يمكنك التعامل مع ذلك، دون الوقوع مثلاً في الخطاب الفاشي القديم الذي ينص على أن «هولندا للهولنديين»؟

إن من الجيد السعي إلى السلام العالمي ورؤية كل الناس كلهم كإخوة أو أخوات، ولكن هل نستطيع أن نكون فعلاً بلا عدو، ما دام الآخرون يجردون منا، في الوقت نفسه، عدواً؟ ألا ينبغي لنا في الأقل أن نختار أعداءنا، لنكون في أقصى الحالات، مستعدين لمحاربتهم؟ وهل نحتاج إلى عدو مشترك لنكون قادرين على تشكيل مجتمع متماسك؟ الأمر الذي يستدعي مفهوم «صناعة العدو» وشيئنته أيضاً، وفق مقولة تشرشل «في السياسة، لا يوجد صديق دائم، ولا عدو دائم، ولكن توجد مصالح»، ونماذج ذلك في السياسة الدولية ماثلة، كتكريس مفهوم المصلحة بدلاً عن مفهوم الأيديولوجيا الذي كان سائداً طوال مرحلة الحرب الباردة حتى ١٩٨٩.

لا يخفي الكاتب خشيته من كون العداء ما زال حتمياً في الوقت الحاضر، فكل مجتمع يحتاج إلى أعداء خارجيين ليكون مجتمعاً يعرف من هو، وماذا يريد؟ لكن هذا لا يعني أن العداوة «حاجة طبيعية» فهي - كما يقول - حاجة ثقافية، فضلاً عن أنها نتيجة للمنافسة أيضاً، وبالرغم من أن كل منافسة ليس بالضرورة أن تنتهي بالعداء المرير، إلا أن لكل منافسة، في واقع الأمر، سمات عدائية. فهكذا مثلاً ينافس الإخوة والأخوات بعضهم بعضاً في حب آبائهم، وحيث يكون الحب، وحيث تكون

الذين يلعبون لعبة خطيرة في الوسط الاجتماعي. ويضيف أنه «لم يعد بوسعنا أن نتصور أن ستتشب حرب، مرة أخرى، في أوروبا، ولذلك لم نعد ندرك المخاطر المحتملة. لهذا السبب نحب اللعب مع قاذف اللهب، في صورة ماثلة ومعبرة عن غياب كامل للمسؤولية». وفي إشارة إلى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، يقول: قد تتساءل عما إذا كان أولئك الذين يقولون إنهم يحبون بريطانيا لا يعملون على تدمير بلادهم، مشيراً إلى عبارة أوسكار وايلد، ومرجحاً أنه على حق عندما كتب أن «كل امرئ يقتل ما يحب».

وإذ يرى كارل شميت أن الوظيفة الرئيسة للدولة هي منع نشوب حرب أهلية. فإن غرونبيرغ يتسق معه فيرى أن في قوله الكثير من الحقيقة، ففي اللحظة التي يبدأ فيها الناس بإنشاء مجموعات ضد بعضهم بعضاً، فهم يقوضون وظيفة «الدولة». وإذا قيل إن لدى الدولة أعداء داخليين، كما في خطاب اليمين المتطرف، فإن هناك خبثاً في قول كهذا. وأن يتم تقديم رفض سلوك الآخر لاعتبارات مثالية، فذاك يكون مدمراً في النهاية. ولأن بكل دولة حاجة إلى صورة العدو، والعنف، حيث لا يمكن تحقيق العدالة دون عنف، فإن صورة العدو ستظل ماثلة، وليس من سبيل منظور إلى استبعادها. لكن الاعتقاد بأن السياسة لا تدور إلا حول الفرق بين الصديق والعدو يعد شكلاً من أشكال العمى عن الفرق بين الدولة والحزب. لكن هناك ما ينبغي توكيده في هذا السياق - يقول غرونبيرغ - فقد أصبح مجتمعنا أكثر سلماً، بحيث تبدو مجزرة كبرى مثل الحرب العالمية الأولى مستحيلة بالنسبة إلى اليوم، فلا أحد يرغب في إرسال جيل كامل إلى ساحة المعركة. لكن من ناحية أخرى، يجب على الدولة أن تحتكر العنف. فالعنف ضروري في بعض الأحيان، وإلا لماذا نكرم مقاتلي المقاومة؟ إنما السؤال المنطقي هو كم من العنف يمكن أن تستخدمه الدولة؟ فنحن نسلم باحتكارها العنف خوفاً من وحش الثورة؛ لأن ذلك سيضع نهاية للفوضى، لكن الدولة نفسها قد تصبح وحشاً. إذن، تُعاد صياغة السؤال على نحو مختلف: كم من العنف يمكن أن نقبله من الدولة؟ لقد ألفت هولندا العنف في المحيط، ولم يعد بإمكان الهولنديين تخيل معنى أن يكونوا خارجين عن القانون الذي يحظى باحترامهم. ولئن كان هناك، في بلدان عديدة، من يرفع صوت «بلدنا أولاً»، فإن



## اقتلاع العنصرية: كيف يمكن للناس البيض العمل من أجل العدالة العرقية المنقحة.. لبول كيفل

زينب الكلبانية \*

يقدم هذا الكتاب إطاراً لفهم العنصرية المؤسسية، ويقدم اقتراحات عملية وأدوات وأمثلة ونصائح حول كيفية التي يمكن بها للبيض التدخل في المواقف الشخصية والتنظيمية، للعمل كحلفاء من أجل العدالة العرقية. هنا نجد ثروة من المعلومات حول مجموعات ثقافية محددة مثل المسلمين، والأشخاص ذوي التراث المختلط، والأميركيين الأصليين، واليهود، والمهاجرين الجدد، والأمريكيين الآسيويين، واللاتينيين. وما يصفه الكاتب بول كيفل هو أن القاعدة في هذه الأيام لجعل القضايا العامة مسألة مشاعر شخصية، وفصل المعتقدات عن سياقها الاجتماعي، والتركيز على المشاكل الفردية المستخلصة من القضايا الحقيقية للسلطة والامتياز. ومن السياق التاريخي، صار من الممكن لمفاهيم سخيفة مثل "التمييز العكسي" أن تصبح موضوعاً للمناقشة الجادة، وهذا ما جعل حتى هذه المحاولات النصفية لخلق العدالة العرقية كإجراء إيجابي عرضة للهجوم. بول كيفل هو مؤلف حائز على جوائز عديدة ومدرب ومتحدث بارع، ولقد كان ناشطاً في العدالة الاجتماعية، ومعلماً لمناهج متخصصة في العنصرية، ومعترفاً به وطنياً ودولياً، وزعيماً مبتكراً في مجال منع العنف لأكثر من أربعين عاماً.

وجدها بالمتناقضة، حيث يزعم الغرب أيضاً أنه مجتمع منفتح ومتكافئ، أو ما يسمى بـ«تكافؤ الفرص»، ومثل هذه النتائج اليومية تترك السود موضع شكوك عميقة. علاوة على ذلك، فإن الناس السود مقتنعون عموماً بأنه يجب عليهم العمل مرتين بصعوبة الحصول على نصف العمر في الحياة، وهذا مؤشر خطير جداً. ومن بين هؤلاء، يؤكد السود على هذه الدروس المركزية ويعيدون تأكيدها، ويحاولون من منطلق الواجب، تمريرها إلى الآخرين الذين يهتمون بهم، وخاصة لأولادهم.

يوضح بول كيفل في هذا الكتاب أن العنصرية هي إضفاء الطابع المؤسسي على الظلم الاجتماعي القائم على لون البشرة، والخصائص البدنية الأخرى، والفوارق الثقافية والدينية، وأن العنصرية البيضاء هي التوزيع غير المتساوي والعدال للسلطة، والامتياز، والأراضي، والمواد المادية لصالح هؤلاء الناس ذوي البشرة البيضاء. وعلى الرغم من أنه يمكن أن تصبح الأمور أكثر تسامحاً وفهماً، فإن العدالة وحدها هي التي يمكنها إخماد نار العنصرية، ولكن يبقى السؤال الذي يتردد كثيراً في حالة انعدام العدالة في المساواة ماذا سيحل بالبشرية؟

وهناك منحدر آخر تحدث عنه كتاب اقتلاع العنصرية وهو ازدهام السجون بالرجال السود - بنسبة كبيرة جداً - مقارنة بالبيض، ويرجع ذلك نتيجة بأس الرجل الأسود من النظام المحيط به، وهذا اليأس مصدره الأثر الهدام والصادر من الرجل الأبيض. ويسوق الكاتب في معرض حديثه تجربة أجراها على بعض تلاميذه من الطلاب البيض حيث خيرهم في أمرين: أن يكون مع الواحد منهم خمسمائة دولار فتسلب منه بواسطة رجل أبيض أو أن تكون معه عشرون دولاراً فتسلب منه بواسطة رجل أسود، وقد اختاروا أن يسلبوا

أيضاً، وما تمخض عنه هذا الفكر في جميع مجالاته، وخاصة الفلسفية والدينية والتاريخية والأنثروبولوجية. تقريباً كل شخص أسود في أمريكا قد عانى من عدم الاحترام على أساس كونه أسود، هناك عدد كبير، ولكن غير محدد من السود الذين يشعرون بعدم احترامهم بشكل كبير في حياتهم اليومية، وهم يعتبرونه تمييزاً دقيقاً وصريحاً. يعرف الناس السود العنصرية اليومية التي يتم التأكيد عليها بقوة من خلال أحداث عنصرية مشهورة مثل الحادثة في ستاركس، أو موجة القتل الأخيرة لرجال الشرطة السود، أو استدعاء الشرطة على طالبة سوداء أثناء القيلولة في منطقة مشتركة في جامعة بيل، وكل هذه الأحداث حدثت في السنوات القليلة الماضية.

وتحدث الكتاب بأنه في مواجهة هذه الحقائق، يلاحظ السود في كل مكان ويديرون أنفسهم في مجتمع يهيمن عليه البيض بشكل كبير، ويتعلمون ويتبادلون القواعد الفريدة لمجتمع يهيمن عليه البيض، وتتجلى فيه تعبيرات العنصرية البيضاء بشكل متزايد. وفي عام ٢٠١٦، دعا الرئيس المنتخب للولايات المتحدة آنذاك علانية إلى الفصل، والفصل يكون على أساس العرق والدين، وفي الوقت نفسه، لا تزال التفاوتات في التعليم والإسكان والرعاية الصحية وسوق العمل هي السائدة، في حين أدى تزايد انعدام الأمن والخوف إلى انتشار وباء فظيع، ومضايقة الناس الملونين. ومع ذلك، أظهرت استطلاعات الرأي الأخيرة أن واحداً وثلاثين في المائة فقط من الناس البيض، في الولايات المتحدة يعتقدون أن العنصرية هي مشكلة مجتمعية رئيسية في نفس الوقت، وأنه ستكون هناك مقاومة قوية من كلا الجانبين، كما هو واضح في صراعات الشعوب الأصلية على الأرض، والسيادة وحركة حياة السود. ويصر الكاتب بول كيفل بالحديث عن مزاعم المجتمع التي

ويمكن أن نقول إن تاريخ الفكر الغربي قد توقف وقفة هادئة من حيث التعلق بالجنس البشري ومعناه، وذلك في جميع حقول المعرفة الغربية من فلسفة وتاريخ ودراسات دينية، واتخذ طريقاً مغايراً بعد نشر دارون لكتابه «أصل المخلوقات» وقد كان ذلك في عام ١٨٥٦م.

ودعونا نسترجع ذاكرتنا إلى الوراء قبل الدخول في خبايا الكتاب الموضوعية، وذلك بهدف توضيح الصورة، ولكي تتمكن جميعاً من استنباط الأفكار بطريقة واضحة، ونفهم مقاصد الكاتب بدون ضبابية أو تداخل في الأفكار، وذلك عندما قال فيليب كارتن: إن الصورة التي طبعت في أذهان الأوروبيين عن أفريقيا وسكانها، بدأت تتبلور منذ الرحلة الأولى التي قام بها الرجل الأبيض إلى شواطئ غرب أفريقيا، وكان ذلك في القرن الخامس عشر. هذا وقد ترسبت هذه الصورة بشكل ثابت عندما بدأت تجارة الرقيق في القرن السابع عشر، وقد تبع ذلك استغلال فكري وعقائدي واقتصادي مارسه الرجل الأبيض على مر السنين إلى اليوم بدون انقطاع، وقد أخذ هذا الاستغلال أشكالاً متعددة. ونستنتج من ذلك أن العنصرية لم تكن أبداً وليدة اللحظة؛ وإنما هي متراكمة منذ قديم الزمن، وأيضاً تنوعت أشكالها، ولكن مغزاها واحد.

ومرة نجد هذه العنصرية تطفو إلى السطح بشكل سافر، وباستمرار يكون كامناً تحت مسرح الحياة، وفي ضمير الرجل الأبيض. وعادة ما يكون المحرك الفعلي لهذا الاستغلال، هو الرجل الأبيض نفسه، لذا ظهرت التفرقة العنصرية السافرة في الفكر الغربي جميعه وبالأخص في الفكرين الفرنسي والبريطاني. ونظراً لأن الفكر البريطاني له قسبة السبق ونصيب الأسد من هذا التعصب العنصري والاضطهاد البشري للرجل الأسود وأن الفكر الأمريكي هو وليده الشرعي، وهذا ما حاول الكاتب بول كيفل توضيحه في كتابه



بسيطة نحو أن يصبحوا حلفاء في الكفاح ضد عدم المساواة العرقية.

ولخص كيفيل كيف يمكن المساهمة في وقف العنصرية المحقمة، وأشاد بضرورة الاستماع عندما يتحدث الناس السود عن العنصرية اليومية، عندما يتحدث شخص أبيض عن العنصرية، يميل البيض الآخرون إلى الإصغاء بعناية وباحترام، حتى إذا كانوا لا يوافقون. ومن خلاله يجب أن يتحدث العاقلون والمثقفون عندما يسمعون هذه الحوارات لوقفها أو محاولة تقليل مخاطرها على الجنس الآخر، ولكن في أكثر الأحيان، عندما يتكلم السود والناس الملونون عن العنصرية، فإن الغريزة هي القفز إلى الاستنتاجات، أو المقاطعة، أو الاتصال بهم، أو استجواب ذكائهم، أو الابتعاد عن المحادثة تماما.

وأضاف كيفيل ضرورة تثقيف أنفسنا عن العنصرية قدر المستطاع قبل أن نطلب من الناس السود المساعدة، ومن المهم الاستماع والتأني إلى الأشخاص ذوي الألوان أثناء المناقشات حول العنصرية، لكن علينا أن نتذكر أنهم أيضا بشر لديهم قيود على وقتهم ومواردهم ومدى اهتمامهم واحتياجاتهم العاطفية، وفي بعض الأحيان، قد لا تكون لديهم الطاقة اللازمة لتوعية البيض بالعنصرية لأنهم تحدثوا عنها كثيرا بالفعل، وقد يؤدي أيضا إلى المزيد من الألم، والاستياء، والحزن من التعامل مع الظلم.

إن زراعة قدر أعظم من الكفاءة العرقية، وفحص الطرق التي نعمل بها بامتياز أو بغير وعي على تفعيل تمييزنا للبيض قد يكون صعبا، وغير مريح، وتم تصميم اجتماعاتنا الدورية التي تقوم بها بعض المؤسسات الحكومية، وبعض الجمعيات المهتمة بهذه القضية، لحضور الناس ذوي البشرة البيضاء فقط، إذ يعتقدون بأنهم سيجدون النتائج والحلول الصحيحة عن طريق تواجدهم هم فقط، لأنهم أكثر نقدا وشخصية والحفر العميق في المسببات، ولم يتم تصميم هذه الاجتماعات للأشخاص ذوي الألوان الأخرى، وهذه هي العنصرية بحد ذاتها؛ لأنه يجب إشراك السود في هذه الاجتماعات والتشاورات والأخذ بأرائهم، إذ سيسهل الحصول على حلول لتجنب تفاقم هذه العنصرية، ونجد أنه غالبا ما يكون هناك ميل لوضع عبء تثقيف الناس البيض على أشخاص ملونين في الغرفة.

**عنوان الكتاب: اقتلاع العنصرية: كيف يمكن للناس البيض العمل من أجل العدالة العرقية المنقحة.**

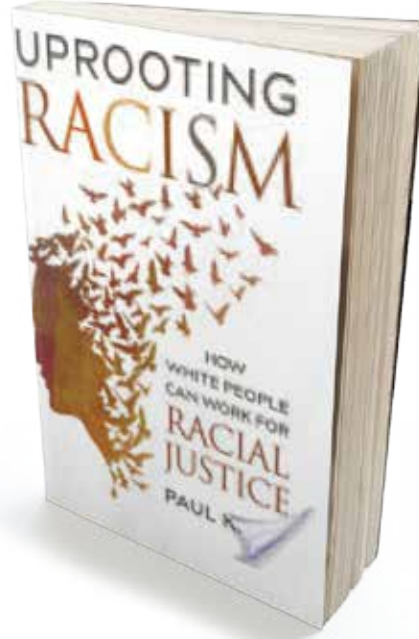
**المؤلف: بول كيفيل**

**سنة النشر: ٢٠١٧**

**الناشر: New Society Publishers**

**عدد الصفحات: ٤٤٨**

**\* كاتبة عُمانية**



معتقد آخر، الأمر الذي يدعو الكثير إلى الانعزال عن المجتمع الذي يعيش فيه، خوفا من الاضطهاد، أو التمييز القسري من الأفراد الآخرين، وهو ما تحدث عنه كيفيل في كتابه، عندما أعلن بأنه يهودي، وكيف تغيرت نظرات الآخرين من حوله، حتى أصحاب البشرة البيضاء، بسبب تاريخ المجتمعات الأوروبية والأمريكية الطويل من التمييز ضد اليهود.

وتم طرح سؤال ذي مدلول كبير، أصاب بعض البيض بصدمة كبيرة، وهو «هل بإمكان الناس البيض تجربة العنصرية؟» هذا السؤال أثار سخط البيض كثيرا وخصوصا عندما تم طرحه على وسائل التواصل الاجتماعي، ولقي استحسان البعض الآخر إذ أوضحوا بأنهم ضد العنصرية والتمييز بين البشر من حيث ألوانهم أو دياناتهم، وأوضحوا بأن لديهم أصدقاء من السود، وكذلك من الديانات الأخرى، ويسعون إلى مكافحة هذه العنصرية، عن طريق العديد من الوسائل المتاحة. وأوضح الكاتب أنه من المرجح أن يشعر بعض القراء بالتهرب من استكمال قراءة الكتاب لما يحتويه من حقائق لا تناسب رغباتهم وميولهم اتجاه النوع الآخر من البشر.

ومن الأقوال التي شدتني في هذا الكتاب، قول الكاتب: «نحن أناس تم تصنيفهم اجتماعيا ليعرفوا بأنهم «بيض» ونحن ندرك أن هذه الهوية متجذرة في تفوق الأبيض، وقد استخدمت كأداة للقمع لمئات السنين في الولايات المتحدة. ونحن ندرك أيضا أنه في حين أنه لدينا العديد من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية، لا توجد أو تمنح للطرف الآخر من القضية. لقد دفعنا ثمننا باهظا من خلال وجود الإنسانية التي نتشاركها مع جميع الناس».

لفترة طويلة، لم يسمع البيض عن العنصرية إلا في سياق ما لا يجب فعله، ولكن نادرا ما يسمع الناس البيض، في أي وقت، عن الكيفية التي يمكنهم بها استباق هذه القضية، ومن خلال أخذ قيادة الأشخاص الملونين في الحوار الأوسع حول القضاء على العنصرية، يمكن للبيض اتخاذ خطوات ثابتة، وحتى

بواسطة الرجل الأبيض، وهذا أيضا مؤشر خطير آخر. ما يثير الانتباه أن الكاتب بول كيفيل يعطي بيانات كافية لإثبات الآثار المستمرة للعنصرية البيضاء، في التوظيف والتعليم والإسكان... إلخ. وينصب تركيزه الرئيسي على ديناميكيات العنصرية المؤسسية، وبسبب هذه التحديات، يشك العديد من السود في دخول مساحات الطبقة الأخرى، ويترددون في الاستثمار في علاقاتهم مع البيض التي يجدونها هناك، إذ إن إيجاد مثل هذه العلاقات إشكالية للغاية، تميل إلى فك الارتباط مع الناس البيض في الأماكن العامة والخاصة، مما يجعل هذه العلاقات سطحية إلى حد ما. وبالنظر إلى الفروق الصارمة بين السود والبيض، لا يعرف السود سوى القليل عن كيفية عيش البيض في الواقع، والعكس صحيح.

يقوم كيفيل بعمل جيد في تسليط الضوء على المشاكل الخطيرة التي يجب مواجهتها في مجالات مختلفة، مثل العمل الإيجابي والعمل والتعليم والشرطة ونظام العدالة الجنائية، وفي القسم الخاص بالشرطة، وعلى سبيل المثال، يقول لنا «إن الإجابة ليست مجرد وعي، وإنما أن تكون أكثر من ذلك بالنسبة لرجال الشرطة، والساسة الكبار ككل، ونحن بحاجة إلى جعل الشرطة خاضعة للمساءلة أمام المجتمع بأكمله، وفي الوقت نفسه، إن تحدي العنصرية في مجتمعنا الذي يستمر في استخدام الشرطة لإنفاذ اللامساواة والظلم. وكما نعلم جميعا الأحداث التي وقعت مؤخرا في الولايات المتحدة بين الجانبين، وأدت إلى موت الكثير من الأبرياء وتخريب المرافق العامة، كان سببها رجال الشرطة، إذ قاموا بالاعتداء بوحشية كبيرة على أحد السود، وقتله في نهاية الأمر، دون مبرر يذكر، وهو ما أشعل فتيل الغضب في أوساط مجتمعات السود، وهذا ما حرص عليه الكاتب بأن يكون رجال الشرطة تحت مساءلة المجتمع، دون رجال الساسة فقط، الذين لوحظ تهاونهم في اتخاذ الإجراءات اللازمة حول هذا الموضوع.

إن التعددية الثقافية المناهضة للعنصرية يشدد عليها كيفيل من حيث الحاجة إلى تجاوز التكامل والزيوت الرمزية، وتحدي الافتراض السائد غير المعلن بأن القيم والممارسات والإجراءات البيضاء والذكورية والمسيحية تمثل «الاتجاه السائد» للجميع. وهناك أمر آخر حول مفهوم القوة والامتياز، وهو التوزيع غير المتكافئ للثروة، إذ يعتبر هو حجر الزاوية للعنصرية.

ويرجع بول كيفيل مرة أخرى في فصوله الأخيرة للحديث عن بعض الاستكشافات المثيرة، إذ أن العديد من الأشخاص البيض يقولون إذا أردت الحصول على العديد من الامتيازات يجب أن تكون من ذوي البشرة البيضاء، ولو دققنا أكثر في هذا التصريح، فإنه يوضح في نهاية المطاف الفجوة الكبيرة بين الطبقتين. كذلك الحال عند الحديث عن التمييز بين الديانات والمعتقدات، الكثير من الناس تعاني في هذا الجانب، خصوصا إذا كان ضمن أقلية بسيطة داخل مجتمع ذي ديانة أو



## السلوك: بيولوجيا البشر في أفضل وأسوأ حالاتها.. لروبرت سابولسكي

علي الرواحي \*

مُنذ فترة طويلة والسلوك البشري يشكل لغزاً اختلفت الآراء حول مصدره، ودوافعه، وربما هذا التعدُّد في البحوث والمسارات البشرية المتداخلة بين مختلف العلوم بما فيها علم النفس، وعلم الأعصاب، وعلم الاقتصاد... وغيرها، تمنح هذا اللغز أهمية مختلفة وخاصة. يناقش هذا العمل لعالم الأعصاب الأمريكي الشهير روبرت سابولسكي مصدر السلوك البشري، وهو يتجه بشكل مباشر للبحث في أسباب العنف كما يصرح المؤلف في المقدمة؛ وذلك لإثبات رؤيته ونظريته التي تقوم على أن أسباب السلوك بشكل عام، والسلوك العنيف بشكل محدد مصدره الأعصاب أو الجانب البيولوجي في الإنسان، وليس شيئاً آخر. يستكشف هذا العمل الدافع البيولوجي للعنف، السلوك التناقسي والعدائي، كما يركز على الفعل الفردي، الجماعي، والدولتي أيضاً، ومتى يكون جيداً، أو سيئاً. إضافة لذلك، فهو يبحث في تلك الطرق التي يؤدي فيها الشخص الآخر، أو عندما يفعل العكس. كما يركز أيضاً على الدروس التي تعلمنا إيها البيولوجيا حول التعاون، والانتماء، والمراجعة، والتقصص، والإيثار (ص: ٣).

كنت على علم بالمحفزات البيئية المحيطة بك؟ وما هو المنبه أو المحفز الذي يجعل الدماغ حساساً بشكل خاص؟ وأخيراً، ما الذي تقوله لنا هذه الإجابات حول تصرفاتنا السيئة أو الجيدة؟ من الضروري في هذا السياق معرفة أن الكثير من المعلومات التي تصل إلى الدماغ تتحول بسرعة إلى أفعال؛ حيث من الممكن أن نجد ذلك في أنواع مختلفة من الأنواع الحية، غير أن الإشكالية أن البشر يجهلون كثيراً بهذا الخصوص وذلك بسبب أن الحيوانات من الممكن أن تشعر بأشياء لا يشعر بها البشر، أو بأشكال شعورية لا يعرف البشر بوجودها. وهو ما يجعل الاستفادة من سلوك الحيوانات مهماً للغاية في هذا السياق.

وكخلفية تاريخية لهذا النوع من التوجه العلمي، يقوم سابولسكي بتقديم نبذة تاريخية قصيرة عن علم الأخلاق في أوروبا؛ حيث إنه جاء كردة فعل على النموذج الأمريكي لعلم النفس؛ وذلك في بداية القرن العشرين. فالسلوكية نجد أنها صعدت مع جون واتسون (١٨٧٨م-١٩٥٨م)؛ وذلك بعد أبحاث وإنجازات الأمريكي ب.ف. سكينر (١٩٠٤م-١٩٩٠م). يهتم هذا النوع من النظريات بتوحيد مصادر أنماط السلوك لدى جميع الكائنات، لأن الكثير من الأنواع الحية تميل إلى تكرار الكثير من أفعال الآخرين وسلوكياتهم، أو عن طريق شرط إجرائي - وذلك حسب مصطلحات سكينر - يقوم من خلاله تعديل السلوك من خلال دمه في حالات معينة أو إضعافه في حالات أخرى. وفي كل الحالات فإن السلوك يأتي كتنبه أو استجابة لبعض السلوكيات والمحفزات في تلك البيئة. فبحسب هذه النظرية، من الممكن القول بأن كل سلوكيات الكائنات الحية تتوافق مع هذه القاعدة، لأن كل أنواع التجارب قد أجريت على الفئران أو الحمام. فعلماء السلوك كانوا لفترة طويلة محقنين فيما يخص السلوك، غير

الوقت المناسب (ص: ٤٥). ولأجل ذلك يوضح سابولسكي علاقتها مع الكثير من المناطق الفرعية المختلفة في الدماغ، كما يوضح أيضاً علاقة المناطق الفرعية في الدماغ مع القشرة الأمامية، وعلاقتها المباشرة مع الوعي؛ إذ إنه عن طريق هذه المنطقة يتم تنظيم المهام اليومية؛ فعن طريقها ينتبه المرء لتفاصيل الحياة اليومية المباشرة، كما أنها تسهم بشكل أساسي في الانتباه لكل الأشياء المحيطة بالإنسان من الجمع، ولفت الانتباه... وغيرها من المهام اليومية. وإضافة لذلك، فإن هذه القشرة الأمامية تسهم في تنظيم السلوك الاجتماعي كما هي الحال في السلوك الفردي للشخص؛ فعن طريق مراقبة سلوك الآخرين من البشر أو الحيوانات يكتسب المراقب بعض المهارات أو التصرفات التي من شأنها أن تدخل في عملية مقارنة لتفادي الأخطاء، وهذا يحدث في الجبهة الأمامية التي تعتبر من أهم مناطق الدماغ. بشكل عام، نجد أن النظام العصبي يدور حول التصرفات البشرية الاجتماعية أو غير ذلك؛ فهي تنتظم عن طريق ثلاث ثيمات أو محاور: محور الخوف، والعداء أو العدوانية، ومركز الإثارة في القشرة الدماغية بما يشمل محور المكافآت، أو المشاركات، والتحفيز عن طريق الدوبامين الذي هو عبارة عن مادة كيميائية تؤثر على الأحاسيس والسلوكيات بما فيها التحفيز، والسعادة، والمتعة، والإدمان أيضاً... وغيرها من الوظائف المترابطة.

وفي الفصل المعنون «ما قبل الدقيقة الثانية» (ص: ٨١)، يبدأ سابولسكي بمقولة مهمة؛ وهي «لا شيء يأتي من لا شيء أو من العدم؛ لأنه لا يوجد دماغ بمثابة جزيرة معزولة». فهذا الفصل يشغل بالإجابة عن طريق أربعة أسئلة مترابطة: ما هي المحفزات أو المنبهات الخارجية أو الحساسات أو القنوات التي تجعل الدماغ ينتبه لعدد معين من الأفعال والتصرفات؟ وهل

وينطلق العمل - كما يصرح المؤلف - من شراكة بين علم الأعصاب، وعلم القردة العليا أو البريماتولوجيا، بأن جميع الأفعال التي تصدر عن الإنسان لها الكثير من الأسباب وخلفها العديد من الطبقات، حيث أنها تعود إلى الثواني، والدقائق، والساعات، والأيام، والأشهر، والسنوات، وحتى إلى القرون التي سبقت هذا السلوك أو ذلك، والتي تعود بدورها إلى الأصول وانبثاق الأزمنة السحيقة السابقة. فمنذ الاجتياح الملحمي في الأزمنة العتيقة يتساءل المؤلف عن كيفية تفاعل أو تأثير أجسادنا الحيوية مع الحرب والسلام، والعدالة والظلم، والاضطهاد من الجهة الأخرى. وكيف تفاعل الدماغ مع المتغيرات الثقافية على مر السنين. من أجل ذلك يعود في الفصول الأولى من هذا العمل إلى الثانية الأولى قبل حدوث الفعل والتي تضعنا أمام تصميم وعمل الدماغ بشكل تفصيلي ومباشر؛ وذلك من خلال الطبقات المختلفة التي يتكون منها، والأعصاب التي تؤثر في السلوكيات البشرية.

وفي الثانية الأولى قبل حدوث الفعل، يتطرق سابولسكي إلى لوزة الدماغ وقشرته، وتحديدًا تلك المنطقة أو الفص الحويّ أو الطرقي المسؤول عن الوظائف الانفعالية في الجسم كالتفاعل، والتحفيز، والتعليم، والذاكرة وغيرها من الوظائف المختلفة؛ حيث تعتبر هذه المنطقة نقطة التقاء بين القشرة الدماغية وذلك من خلال ملايين التوصيلات العصبية. ويركز المؤلف على أهمية القشرة الدماغية الأمامية، أو كما يطلق عليها «الحصين» فهي تقوم بمهام متعددة منها، وربما أهمها: عمل الذاكرة، وتنظيم المعرفة، والتخطيط، وسن القوانين وغيرها من الوظائف في هذا السياق المشابه؛ حيث يضع تعريفاً مهماً لهذه المنطقة الحيوية من الدماغ، فهي تجعلنا نقوم بالأفعال الصعبة والحرجة في





مسألة «النحن والمهم» التي يتم معالجتها بطرق شتى، فلسفية واجتماعية ولغوية وغيرها، نجد أن سابولسكي يقدم لنا شروحات معمقة، وتفسيرات عصبية لهذه الظاهرة البشرية؛ لأن قشرة الدماغ تلعب دوراً كبيراً في هذا الشأن، فعن طريقها تتحدد الأعراق البشرية، وهناك مقولات متداولة يوردها سابولسكي بأن جميع البشر ينقسمون إلى قسمين: أولئك الذين يقسمون الأشخاص أو يصنفونهم، وأولئك الذين لا يقومون بذلك. ومن هنا، نستطيع فهم الطبيعة البشرية التي تذهب لتقسيم الأشخاص بناءً على الكثير من المحددات. ثمة أسئلة افتتاحية تقود هذا الفصل، وهي أسئلة طموحة، وبالغة الأهمية، منها: هل هناك أمل أن تنهزم أو تتراجع العشائرية أو الخوف من الغرباء وتصبح هوليود على سبيل المثال تصور لنا بأن البشر والغوريلا يتقاسمون الخبز والمعيشة سوياً؟ من الضروري التفريق هنا بين المشاعر والانطباعات المتولدة عن الآخرين، وأنماط التفكير تجاههم أيضاً. فهذه العلاقة يتم تأطيرها عن طريق الوعي المتولد والذي تعمل عليه الثقافة في نفس الوقت؛ فالوعي في الكثير من الحالات يحتاج أن يخلق أعداء له، أو صفات مختلفة عنه ليواصل تبلوره، ويطور من أداوته. كما أن بعض التصرفات الفردية لبعض الأعراق والأشخاص يتم تعميمها وجعلها تنطبق على جميع المنتهين لهذا العرق أو تلك السحنة.

كيف تحدث وتتكون العلاقات العمودية أو الهريراركية بين البشر؟ وكيف ومتى يطبع البعض الآخر؟ ومتى يقاوم الشخص الأوامر ويعصي ما يقال له ويستقل برأيه؟ هذه الأسئلة لا يمكن إغفالها في هذا العمل؛ فهي لصيقة إلى درجة كبيرة، بالتصنيف البشري السابق بين النحن والمهم، حيث نجد أننا أمام خارطة معقدة، جدلية، مليئة بالأسئلة وعدم الاتفاق. فبعض الإجابات العنصرية لهذه الأسئلة حاضرة بقوة في هذا العمل، وهو يناقش إشكالية تاريخية تتلخص في أن التصنيف له جذور اقتصادية واجتماعية.

وفي ختام هذا العمل، يتطرق سابولسكي إلى تلك النقاط الأثيرة والمحيرة لعلم النفس وعلماء السلوك الأوائل كالأخلاق والقيم، والحرب والسلام، ونظام العدالة والإجرام والإرادة الحرة؛ حيث إن هذه المواضيع شكلت مواضيع جدل، ونقاش بين علماء النفس والفيزياء في العقود الماضية، كما هي الحال في المناظرة الشهيرة بين سيجموند فرويد واينشتاين. ونجد أن هناك الكثير من الأشخاص يستثارون بمجرد رؤيتهم لأعراق مختلفة، الأمر الذي يؤثر بدوره على التركيبة العصبية للأفراد، والنفسية كذلك.

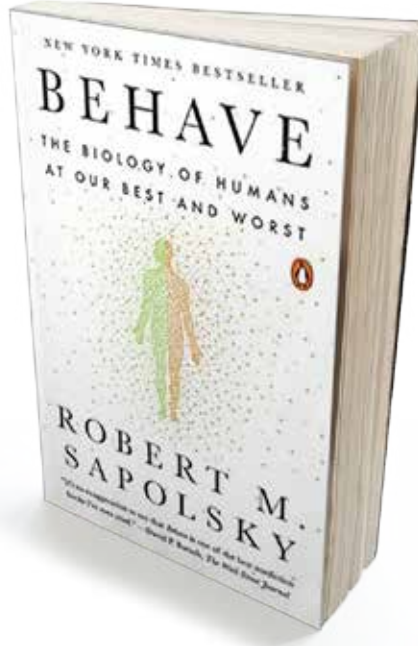
-----  
- الكتاب: «السلوك: بيولوجيا البشر في أفضل وأسوأ حالاتها».

- المؤلف: روبرت سابولسكي.

- الناشر: VINTAGE Books - 2018.

- عدد الصفحات: 800 صفحة.

\* كاتب عماني



عامين إلى سبعة أعوام، وهكذا في كل المراحل الزمنية اللاحقة للفرد... هذا التطور للدماغ متوازٍ مع الوعي وهناك العديد من النظريات المختلفة في هذا الشأن، كما يترافق هذا التطور مع الآثار التي تلحق القيم جراء ذلك.

وفي الفصل العاشر، يأخذنا المؤلف إلى رحلة طويلة يتحدث من خلالها عن التطور التاريخي للسلوك البشري؛ حيث نجد في المرحلة الأولى أن الكثير من الصفات البيولوجية يتم توارثها من قبل الجينات، كما نجد في المرحلة الثانية بأن الطفرة وإعادة تكوين الجينات تنتج اختلافاً في هذه السمات، وثالثاً بعض هذه التغيرات تصبح أكثر جاهزية. تتأثر هذه المراحل الثلاث بالعديد من العوامل المترابطة وهي تهدف للبقاء، عن طريق إعادة الإنتاج، ونقل النسخ الجينية إلى الجينات اللاحقة. ذلك أن هناك فرقا كبيرا بين البقاء وإعادة الإنتاج وهذا يتضح في وجود الكثير من المظاهر العنادية لبعض هذه الصفات، والتي عن طريقها يتزايد إعادة إنتاج هذه الجاهزية من الحياة الأولى وتراجع مع امتداد الحياة. وبهذا المعنى، فالسلوك يتم تحديده أو تهذيبه نتيجة لهذا التطور التاريخي الذي يبدو شبه حتمي. هناك الكثير من الأطروحات في هذا الشأن؛ حيث نجد أن نظرية الانتقاء الجماعي لم تعد قادرة على الصمود بحسب سابولسكي؛ لأن نظرية الانتقاء الفردي والتي تعتبر النظرية النقيضة للانتقاء الجماعي تقدم تأويلاً جيداً لتطور السلوك، ففي الانتقاء الجماعي تعبر الكثير من النسخ لجين واحد عن طريق زيادة الإنتاج وتصعيده. وفي هذا السياق، لا يمكن إغفال أن هذا الانتقاء يحدث للأقارب؛ فالهويوات الشائبة المشابهة، أو الإخوان تتشابه نسبة الجينات لديهم إلى حدود كبيرة، وهذا يعني أن الكثير من الصفات من الممكن أن تتناقل بين الأقارب أو نشهد على تقارب أو تكرار في الهويات.

وفي الفصول اللاحقة، يُعالج هذا العمل مسائل بالغة الأهمية، والتشابك، غير أنها تنطلق جميعها من منظور بيولوجي وعصبي يسعى لتفسير كل الأشياء من هذه الزاوية؛ ففي

أنهم - يقول سابولسكي - كانوا مخطئين في نقطة مهمة جداً، وهي أنهم لا يتبعون القواعد السلوكية. فسيما يخص الكائنات الحية كالقرد مثلاً، نجد أن القرد أو الفأر الرضيع يلتصق بالأم المعنفة أو المسيئة في حقه، في حين أن ذلك لا يتوافق مع السلوك البشري.

وفي مقابل ذلك، فإن علم الأخلاق قد ظهر في أوروبا كمقابل للسلوكية ونقيضاً لهاجس التوحيد والعالمية المسيطر على سلوكيات الكائنات الحية؛ فنظرية علم الأخلاق تؤكد على وجود سلوك محدد لكل كائن يتوافق مع موقف محدد، أو ردة فعل أخلاقية محددة. فالسؤال هنا: ما هو هدف هذا السلوك؟ وما الذي أثاره؟ وهل تم اكتساب هذا السلوك؟ وكيف تطور؟ وما هي قيمة تأقلم هذا السلوك مع البيئة المحيطة؟ حيث نجد أيضاً أن الكثير من الباحثين قد استعانوا بنظرية «أثر الفراشة» لفهم هذه السلوكيات المختلفة.

ولأجل اختبار تلك النظريات يعمد سابولسكي للحديث عن المحفزات المثيرة للسلوك لدى بعض الأنواع الحية؛ ففي البداية هناك قنوات سمعية، كما أنها تصدر أصواتاً لإثارة الخوف، وإعلان أشياء كثيرة، وإغواء بقية الأنواع. كذلك فإن الطيور تغني، والأيتال تهدر، والقروود تعوي، وإنسان الغاب يصدر أصواتاً تواصلية ذات دلالة مسموعة على بعد أميال.

كل ذلك وغيره من السلوكيات يُوحى لنا بأن هناك وبعيداً عن المراقبة أو «الرادار» وعيا وتلقينا لاشعورياً لدى الأنواع الحية؛ فمن السهولة رؤية مشهد السكين، أو سماع صوت ينادي اسما معيناً، أو يد تلمس الجسد وترسل تنبيهها للدماغ، غير أن هناك أطنانا من المحفزات اللاشعورية تشعرنا قبل وقوع بعض الأحداث أو السلوكيات. وإضافة لذلك، فإن تأثير المعلومات المستقاة من المحفزات البصرية على الدماغ، ما يمكن تسميته بالتعرف على الوجوه حيث أنه يصل إلى سرعة 150 ملي في الثانية.

وينقلنا سابولسكي إلى نقطة مهمة، وهي التأثير اللاواعي للكلمات. فالكلمات تمتلك القوة. فهي من الممكن أن تنقذ، وتشفي، وترفع، وتدمر، وتقتل أيضاً. ويورد المؤلف مثاله المفضل والذي كثيراً ما يذكره في محاضراته، وهو حول معضلة السجناء وهي نظرية معروفة تدور حول مدى التعاون بين السجناء في مدة التحقيق؛ حيث يسعى المحقق إلى إثبات وجهة نظر معينة دون امتلاكه أدلة كافية على ذلك، وذلك عن طريق التحقيق المنفصل للمتهمين. في هذا السياق، نجد أن الكلمات تحدث في الأشخاص الكثير من التأثير اللاواعي، أو عن طريق هذه المعضلة لا يمكن لكل طرف معرفة أقوال أو وصف الطرف الآخر؛ فهي من الممكن أن تنقذهم أو تذهب بهم للمقصلة.

لا يكتفي سابولسكي بهذا النوع من التحليلات فالعمل يتسم بالتعقيد والتعدد؛ لذلك نجد أنه يخرج من محيط الفرد وسلوكه، ليصل بنا إلى اللحظات المؤثرة في الشخص، كما هي الحال في الفصل السابع والذي عنوانه بالعودة إلى السرير والعودة إلى الرحم؛ حيث يأخذنا في جولة سياحية علمية في تطور الدماغ بناءً على الفترة العمرية للشخص من الولادة لمدة عامين، ومن

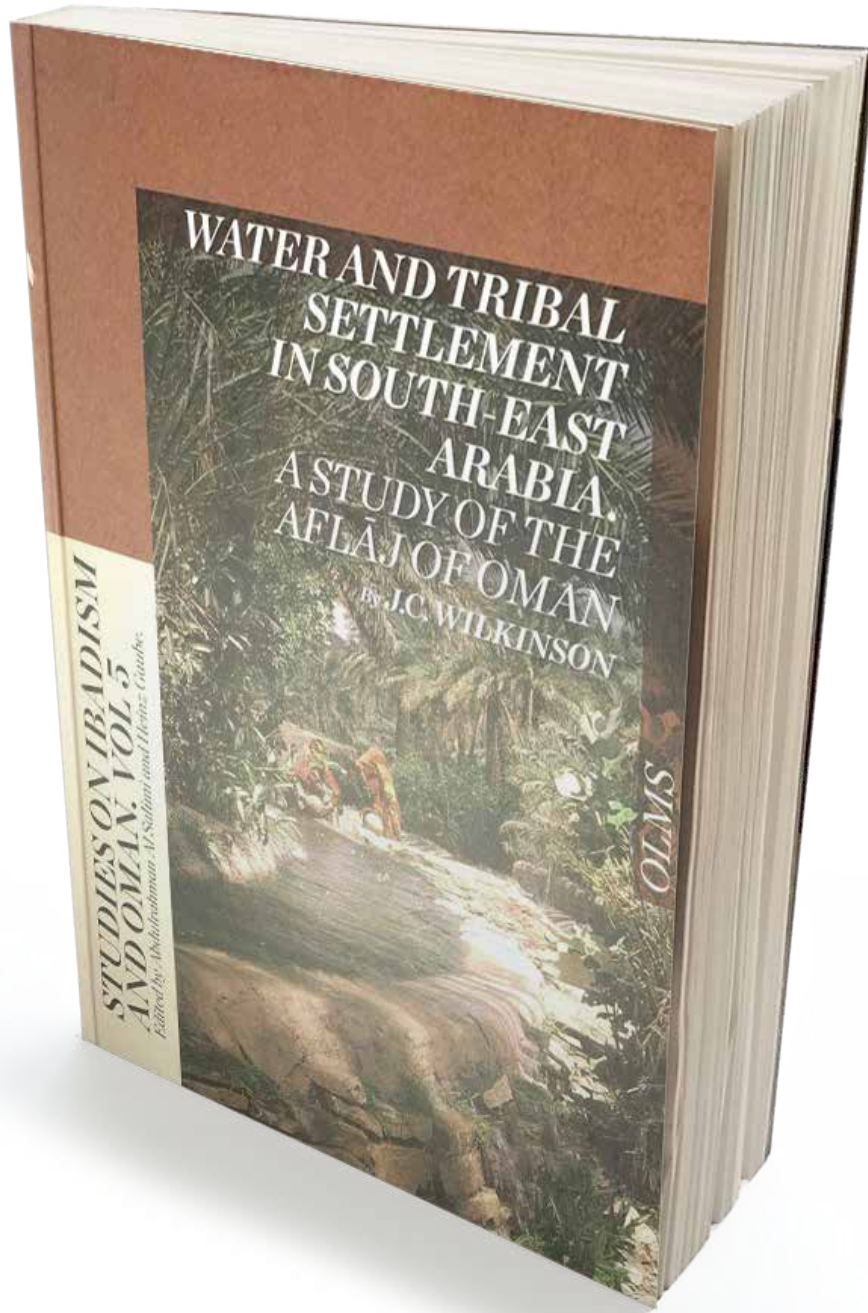


## «سلسلة الدراسات الإباضية والعمانية»\*.. لمجموعة مؤلفين

فاطمة بنت ناصر \*

المجلد ٥ بعنوان «الماء والمستوطنات القبلية في جنوب شرق الجزيرة العربية»، رغم عمومية العنوان في ظاهره، إلا أنه يتناول الماء وعلاقته بالتوزيعات السكانية القبلية في سلطنة عُمان تحديداً. ويعدُّ هذا البحث من الدراسات النادرة والسبّاقة في هذا المجال، ومؤلفه هو الباحث المعروف (J.C Wilkinson)، وهو غنيٌّ عن التعريف خاصة للشغوفين بالتاريخ العماني. وقد نشرت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية مشكورة هذه الدراسة في ٢٠١٣، ضمن سلسلة الدراسات العمانية والإباضية، وهي المجلد الخامس في هذه السلسلة، إلا أنها إعادة نشر لمادة كتاب نشر في ١٩٧٧. وهنا سنتناول أهم ما جاء في هذه الدراسة التي تتكون من ١٠ مداخل؛ هي:

- ١- الإطار المكاني ووصفه الجغرافي.
  - ٢- المناطق الجبلية وطبيعتها المائية/الهيدرولوجية.
  - ٣- مقدمة الأراضي الصحراوية والتجمعات السكانية المتاخمة لها.
  - ٤- الطرق التقليدية للكشف عن وجود التجمعات المائية.
  - ٥- تنظيم الأفلاج.
  - ٦- مزون.
  - ٧- تأثير حكومة الإمامة على النظام الاجتماعي والاقتصادي للمناطق السكانية.
  - ٨- التأسيس الرسمي للهيكل الاجتماعي.
  - ٩- توطين الرُّحَل.
  - ١٠- التجمعات السكنية والتنظيم القبلي.
- لعلّ ثنائية البحر والصحراء وما تمثله من فصل بين الخارج المطل على البحر والداخل الذي يشرف على الصحراء، هو ما يُميز جغرافية عمان بشكل كبير، ولعب دوراً مهماً في التوزيع السكاني وتشكيل طرق العيش والمهن التي يقوم عليها المجتمع.. الكتاب يركز على واحد من هذه الثنائية، وهو الجانب المرتبط بالجبل وبالحدود الجغرافية لعمان الداخل وليس حدود مسقط. وكما نعلم، فإنّ هذا التقسيم كان قائماً قبل السبعين، وله تأثيرات كبيرة على أسلوب الحياة والاقتصاد القائم في كلتا المنطقتين.
- كما لعب المناخ دوراً كبيراً في تشكيل التجمعات السكانية؛ فمن خلال قراءة كميات الأمطار التي تتساقط في هذه المناطق على مدار العام، نجد أنها كميات متذبذبة وحتى في أفضل مواسم سقوط الأمطار كميات الأمطار مركزية وتسقط في مناطق معينة. وهذا يعود للطبيعية الجبلية لهذه المناطق التي تشرف على حيزين مختلفين من التأثيرات الجوية؛ الأول: جانب يشرف على المحيط الهندي ورياحه الموسمية، والثاني: يشرف على الصحراء العربية، وهذا التباين أثر بشكل كبير على كميات وتوزيع المطر المتساقط في تلك المناطق. الزراعة والمياه العذبة تعتمد بشكل أساسي في عُمان على مجاري تصريف المياه الطبيعية. فهذه الممرات التي قامت الطبيعة بنحتها شكلت مع الزمن وديانا وسواقي طبيعية للمياه واستغلها الناس لاختيار مواقع زراعة المحاصيل. غير أن هذا التصريف الطبيعي للمياه يندم في بعض المناطق كمنطقة الباطنة التي لا تحتفظ الأرض بشيء من الذي يتساقط فيها وهو يذهب هدراً متجهاً صوب البحر. ويقول الكاتب إن العناية وتحسين نظم الري ساعد في إنعاش الزراعة، غير أن هذه العناية لا تلبث كثيراً حتى يتم تخریبها بالحروب الأهلية الطاحنة كما حصل بعد عناية دولة اليعاربة بالزراعة؛ حيث أتت الحرب ودمرت كل ذلك
- الجهد، وبعدها أتت دولة البوسعيد وأولت عناية بها حتى انهارت مجدداً في منتصف القرن التاسع عشر. ويختم الكاتب قوله إن عُمان بحاجة ماسة اليوم - بلا شك- لإعادة استثمار وإحياء للقطاع الزراعي (ملاحظة: كَتَبَ الكاتب هذا في أوائل السبعينيات). كما أنه أضاف في خاتمته الخطر المتمثل في اللاتوازن الذي أحدثته مركزية التطوير والتوسع في مسقط وهجرة المواطنين إليها وركود التطوير في المناطق الأخرى.
- المجلد ٦ بعنوان «الفقه الإباضي: أصوله وتطورات وقضايا» يتناول المجلد ٦ العديد من القضايا التي تتعلق بالفقه الإباضي، والتي ناقشها المؤتمر الدولي للفقه الإباضي الذي عُقد في كراكوف البولندية عام ٢٠١٣. وهو يقع في أكثر من ٢٥ صفحة ومقسم إلى ٣ فصول؛ هي:
- ١- منابع الفقه الإباضي وأصوله ومرحلة تشكله؛
- ويتكون من عدد من البحوث؛ يتناول بعدها مناقشة المصادر التاريخية مثل كتاب أقوال قتادة وسيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس. وقد محصت هذه البحوث القضايا التي تناولها الفقه الإباضي وكيفيه تعامله معها وأبرز آراء العلماء الإباضية والمقارنة بينها. فنلاحظ أن



تطور الفقه الإباضي وتشكله ارتبط بشكل كبير بأحوال الناس المادية من زكاة والأموال التي تتعلق باستتلاف الأموال وحقوق الأفراد من القنوات المائية كالأفلاج؛ كل ذلك وأكثر كان له أثر في تشكل الفقه الإباضي لضمان حقوق الناس في ظل الإمامة. كما أن الفقه لعب دوراً في تحديد علاقة الإمام بالأمة وواجباته وحدت من سلطته كي لا تكون مطلقة غاشمة. كما لعب الفقه دوراً كبيراً في تنظيم أمور الوقف وتصريف أمواله، وكانت السياسة تؤثر على طرق وأليات صرف الوقف. ومن الأمثلة على ذلك كما حدث في ١٩١٣، ونظراً لشح الموارد اللازمة، أمر الشيخ العالم عبدالله بن حميد السالمي بجمع الوقف الخاص بالقراءة على قبر المتوفى. أما عن المصادر الإباضية القديمة فيعرض هذا الفصل ورقة بخصوص مخطوطة أقوال قتادة. هذا المخطوط الذي استخدمته بعض فرق كالفرقة النكارية لم يكن صاحبه إباضياً. وهذا أمر مثير ويدل على تقبل هذه الفرق لما يوافق آراءهم، وإن كان من مصدره مخالفاً لمذهبهم. هذا المخطوط رغم أهميته لا يعد من مصادر الإباضية في عمان ولا في المغرب إلا أنه مخطوط مهم لم ينشر بعد.

٢- التطور المذهبي والجغرافي:

ويستعرض هذا الفصل نماذج للفقه الإباضي في شمال إفريقيا، وتأثره بمحيطه والثقافات من حوله كعلاقته بالمسيحية واليهودية، وتأثير الشرائع اليهودية على النص الفقهي الإباضي في شمال إفريقيا. والمجتمع الإباضي في صقلية الإيطالية حين سادها الإسلام التي دخلها المسلمون عام ٨٢٧ وهزموا ١٠٦١. وجود المسلمين في صقلية لم ينته بهزيمتهم بل بقيت جماعات من المسلمين بها لأكثر من قرن ومنهم الإباضية. كما يطلق هذا الفصل التقاطع الشيعي الإباضي وبعض التشابهات بين المذهبين في الشعائر. وفي بحث للدكتور هلال الحجري يناقش الشعر العماني القديم وعدم تقيده بالعرف الديني في حالات كثيرة كذكر الخمر والوصف الدقيق للمحبة من قبل شعراء لهم وزنهم العلمي والديني كالشيخ عبدالله بن علي الخليلي وغيره،

للشيخ أبي عبدالله محمد بن إبراهيم الكندي، وأغلب ما ذكر فيه يتمحور حول بناء المساجد والأفلاج. أما إباضية المغرب فيعد باب «القسم» وأصول الأرضين للفرس طائفي، من الكتب المهمة في هذا الموضوع. كما يحتوي الفصل على أوراق مهمة تتعرض للمرأة والنظرة الفقهية لأموال الطلاق والخلع في قانون الأحوال الشخصية العماني، إضافة لموضوع وكالة المرأة في القانون العماني.

\* (المجلدان ٥-٦).

\* كاتبة ومترجمة عمانية

وللاستزادة حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى كتاب «حدائث الأسلاف» للباحث نفسه.

٣- نظرة حول تطبيق الفقه الإباضي في هذا الباب، يتم التطرق لمراحل زمنية مختلفة كانت فارقة للفقه الإباضي وتطبيقه، إضافة إلى المجالات التي تعرض لها هذا الفقه كالقانون البحري وقانون المرأة والمياه. ومن الأمثلة المطروحة هنا: القرنان ١٩ و ٢٠ في عمان، وترسيخ فقه نور الدين السالمي لمبادئ التعايش والتسامح. والقرنان ١١ و ١٢ وكيف تأثرت العمارة في عمان وعمليات البناء بالفقه الإباضي، وأهم كتاب يتعرض لهذا الأمر هو «موسوعة بيان الشرع



## لديها ضحكة أمها: القوى، والانحرافات، وإمكانية الوراثة.. لكارل زيمر

طلال اليزيدي \*

هذا الكتاب يقدم واجهة عميقة لما يتم توارثه بين الأجيال، وقد تمكن سابقاً تشارلز داروين من لعب دور هام في نقل الوراثة إلى سؤال علمي، لكنه فشل في الإجابة عن التساؤل الذي طرحه في الأصل. علوم الجينات والوراثة ولدت في بدايات ١٩٠٠ التي بدورها أجابت عن هذه التساؤلات التي وضعها داروين لمدة عقود طويلة من الزمن، وقام الناس تدريجياً بترجمة أفكارهم القديمة عن التوارث إلى لغة الجينات، فتكنولوجيا دراسة الجينات أصبحت رخيصة إلى حد ما؛ ملايين من الناس طلبوا فحوصات جينية تمكنهم من التوصل إلى أفراد عائلاتهم المفقودة أو إلى سلف بعيد وجد في فترة تاريخية قديمة أو إلى عرق معين من البشر. لكن زيمر في كتابه «هي تملك ضحكة أمها» يجادل أنّ التوارث ليس فقط عما ورث من الوالدين إلى الأبناء، بل إنّ التوارث يستمر أيضاً في أجسامنا، حيث إنّ الأجسام تكونت في الأصل من خلية واحدة انقسمت إلى ملايين الخلايا التي كونت الشكل النهائي لأجسامنا. دائماً نقول إنّنا نرث جينات معينة من والدنا، لكننا أيضاً نرث أشياء أخرى مهمة جداً في حياتنا، هذه الأشياء تتنوع من الميكروبات إلى التكنولوجيا المستغلة لتبسيط وتيسير حياتنا. نحتاج إلى مفاهيم جديدة لتحديد ماهية الوراثة بالفعل، ومن خلال كتاب كارل زيمر الجديد والمروي بطريقة فذة يعيد لنا مفهومنا حول الوراثة.

عن طريق اختبار الـ DNA تشير بأنها ليست أهم الفعالية. على الرغم من شهادة مسؤولين في المحكمة على ولادة السيدة ليدا لابنها الرابع، وتعد هذه من الحالات النادرة؛ حيث في نهاية المطاف، فإنّ عينات الـ DNA التي أخذت من دمها، وعضلاتها، وجلدها لم تكن مشابهة للبصمة الوراثية لأبنائها، ولكن بغرابة، فإنّ عينات أخذت من أعضاء كعنق الرحم كانت مشابهة لنفس البصمة الوراثية للأبناء، فكانت أهم في أحيان وعمتهم في أحيان أخرى بناء على مصدر العضو الذي أخذت منه عينه الـ DNA.

يقول كارل زيمر في كتابه الطويل المعقد في دراسة تعقيدات الوراثة في البشر «إننا نستشف من كلمات كأخت وعمّة على أنّها قوانين صلبة وواضحة في الأحياء، لكن هذه القوانين ليست إلا مجرد تخمين، فتحت الظروف المناسبة لهذه القوانين البيولوجية لتتحطم».

لتوضيح ذلك أكثر ذكر كارل زيمر حالات أخرى لـ chimera عند البشر، وكذلك أمثله

التكنولوجيا الجينية فمن الإمكان الآن تقطيع الجينوم واستبدال القطع التي لا نحب، وأيضاً معظم المواقع على الجينوم البشري ليس لها تعبير ظاهري مباشر، ففي هذا الكتاب البحثي كارل زيمر بعناء يأخذ نظرة مطولة حول ماهية الوراثة.

في لقاء لكارل زيمر لصحيفة النيويورك تايمز سرد القصة الآتية، للديا فيرشايد كانت في عمر يناهز ٢٧ عاماً عندما أصبحت حاملة بابنها الرابع في عام ٢٠٠٣. من أجل أن تكون مقبولة في نظام الضمان الاجتماعي بالولايات المتحدة القانون يتطلب منها أن تثبت دليل شرعي أن هؤلاء الأولاد فعلياً يرتبطون بها اجتماعياً كأولادها وكذلك يرتبطون بأبيهم جيمي، لذلك ليدا خضعت لاختبار الـ DNA. على الرغم من أنّ نتائج الاختبار توحي بأن جيمي كان الأب للأولاد الثلاثة إلا أنّه لم يكن هنالك أي دليل يشير بأن ليدا كانت والدتهم، كان ذلك بمثابة الصدمة للديا، حيث كانت تذكر بطريقة واضحة ومميزة لولادتها لأبنائها الثلاثة، حيث النتائج والدلائل

يعد كارل زيمر أحد أشهر المدونين والصحفيين في مجال العلوم، وتتمحور موضوعاته حول التطور والطفيليات. وقد ألف العديد من الكتب ويساهم في مقالات علمية في منشورات مثل نيويورك تايمز، وناشيونال جيوغرافيك وديسكفر، وهو زميل في كلية مورس في جامعة ييل. في هذا الكتاب زيمر حل المأزق الأخلاقية في مجال البحوث البيولوجية المنبثقة من التكنولوجيا الحديثة في مجال الطب الحيوي، وكذلك فك عقدة الافتراض طويل الأمد حول عمّن نكون وما يمكن أن نمرره إلى الأجيال المستقبلية. صنف الكتاب كأكثر الكتب مبيعاً في موقع أمازون لشهر يونيو لعام ٢٠١٨.

وبعد أن تمكنا من معرفة القواعد النيتروجينية والخرائط الجينية للجينوم البشري، الآن أيضاً نريد أن نعرف من أين أتينا، لكن الوراثة ليست مجرد نقل الصفات الجينية من الوالدين إلى الأبناء، بل يرى زيمر في كتابه أنّ الأمهات تستقبل خلايا معينة من أولادها، وأنّ العرقيات ليست جزءاً من العالم الطبيعي خارجة عن نطاق تجاربنا الاجتماعية، وكذلك أيضاً بتقدم



مكتشفها جيمس فلين، وكذلك متوسط طول الأطفال أصبح أطول عما كان عليه آبائهم، فجينات الآباء والأبناء متشابهة وهذا الاختلاف ليس بسبب اختلاف جيني، لكن السبب الرئيسي في الحقيقة هو الأفضلية في نظام الغذاء، والمسكن، والتعليم وبعض العوامل البيئية والاجتماعية.

يخلق كارل زيمر تاريخاً قابلاً للقراءة للغاية للاستخدامات الجيدة والسيئة للوراثة. إنه يقدم نثراً مقنعاً منسوجاً من رحلة العلماء الجينيين الذين أتوا بنا إلى حافة الهندسة الوراثية. الأمر مختلف تماماً عما قد تتوقعه. لقد أعطانا داروين نظرية أنيقة للتطور دون فهم الجينات الوراثية، وتبين أن تكهنات داروين حول شمولية التخلق، كانت خاطئة بشكل مذهل. من المثير للقلق معرفة أن النظريات الوراثية كانت تستخدم لعدة قرون من قبل العلماء والعلوم الاجتماعية والباحثين والسياسيين لتبرير العنصرية الرقيقة وعلم تحسين النسل المخيف. ونحن على وشك أن نكون على حافة ثورة في الهندسة الوراثية. إن زيمر يعطينا تحذيراً صارماً إلى من يسيء استخدام هذه القوة الجديدة.

مثلاً قال زيمر «الوراثة ليست حتمية كونية، لكنها عملية بيولوجية ظهرت من مكونات بيولوجية تم تعديلها إلى مظاهر جديد». لذلك رسالة زيمر واضحة في كتابه، بأنه يجب علينا أن نستمتع بعجائب الطبيعة التي خلقت لنا هذه العملية.

هذا الكتاب واسع النطاق ومفتوح للعين عن الطريقة التي تشكل بها الوراثة جنسنا؛ فهو يقدم جولة رائعة من الأسئلة الكبيرة والأفكار الغربية والإنجازات المبهرة للباحثين الذين يبحثون عن تفسير الميراث والتلاعب به وتغييره.

اسم الكتاب: لديها ضحكة أمها: القوى، والانحرافات، وإمكانية الوراثة

المؤلف: كارل زيمر

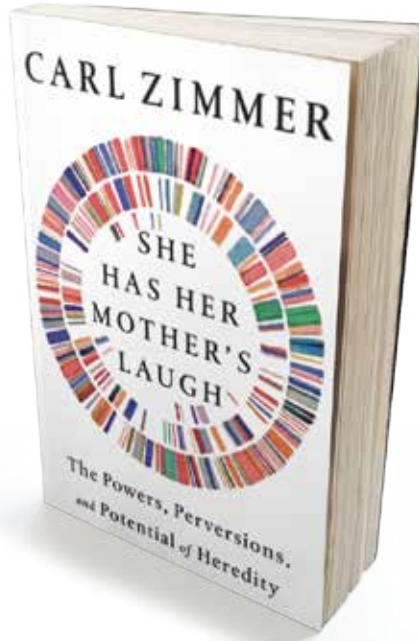
الناشر: Dutton

اللغة: الإنجليزية

تاريخ الإصدار: ٢٠١٨

عدد الصفحات: ١٧٢

\* كاتب عماني



متجاهلين حقيقة أنهم كلما أظالوا المكوث داخل هذه الأنحاء التي احتضنتهم كمهاجرين زادت علاماتهم في اختبارات الذكاء. زيمر في كتابه كان مقنعاً بطريق حاذقة في فضح هؤلاء العلماء بادعاءاتهم ضد المهاجرين، فمن وجهه نظر زيمر نعم الذكاء بالفعل به نسبة معينة من الوراثة، لكن توارث الذكاء لا يكون بطريقة مباشرة. زيمر يقول «إذا حصلت على درجة متوسطة في اختبار الذكاء، فمن الممكن أن يكبر الأبناء ليصبحوا عباقة»، وكذلك أشار إلى «أنه إذا كنت عبقرية، ستكون ذكياً بما فيه الحد لمعرفة أن أولادك قد ينشأون مستقبلاً بمعدل ذكاء أقل منك».

خذ الطول على سبيل المثال، فالطول أيضاً وراثي، لكن فكرة أن الطول يتحكم به جين واحد أو جينان فكرة أشير إليها بأنها خاطئة حد الضحك، فزيمر يشير في كتابه إلى أن الدراسة الحديثة في الوراثة والجينات تشير إلى أنه على الأقل هناك ٨٠٠ جين تحدد طولنا كبشر، كل جين منها يؤثر بدرجة طفيفة على أجسادنا، وبمعنى آخر لا يوجد هنالك جين واحد أو مجموعة من الجينات تحدد طولنا.

النقطة المهمة هنا أن كلا من الطول والذكاء بلا أي شك يُتوارثان لكن ليس بالطريقة السهلة والمباشرة، البشر في الوقت الحالي أطول وأذكى مما كانوا عليه قبل قرن من الزمن. فعلى نطاق العالم، الأطفال بالمتوسط يكونون أفضل في اختبارات الذكاء عما كان عليه آبائهم. هذه الظاهرة تعرف بظاهرة فلين سميت على غرار

لأطفال يمتلكون أعضاء تحتوي على مستعمرة من الخلايا تنتمي لأشخاص آخرين، في العادة لأبائهم وأمهاتهم. علاوة على ذلك، أشار زيمر بأننا لا نرث فقط الجينات من والدينا لكننا كذلك نرث الميكروبات المستعمرة في جوف جهازهم الهضمي، الميكروبات المساعدة لهضم الطعام، وقد أكد على هذه الميكروبات بوصفه «إننا نأوي حديقة خاصة في أجوافنا». من هذا المنظور بالإمكان أن نرى أن الوراثة لا تتبلور فقط في الجينات، لكنها تتعدى إلى بعض العناصر البيولوجية الأخرى، والثقافية، وكذلك تحدد مستقبلنا، لكننا في الواقع نيسط هذه القوى التي تشكل ماهية الوراثة.

كما تطرق الكتاب حول نظرية ثيدور بورتر حول تعقيدات الوراثة. إعجاب بورتر بالوراثة مرتبط بدراسته المثيرة للدهشة والقلق في آن واحد لدور الأمراض العقلية في تعريف التوارث عند البشر، وقد أوضح أن الكثير من خبراء الجينات يؤمنون بأن مرض الحماسة الذي صادف اللجوء في القرن الـ١٩ و الـ٢٠، كان يتوارث بطريقة مباشرة، ولا يمكن القضاء عليه إلا عن طريق تعقيم الأشخاص الحاملين للجين. في دراسات بورتر يشير إلى أن الوراثة لم تظهر فقط كعلم مستنبط من إحصاءات أو من اهتمامات تخص الزراعة كتلك التي استمد منها تشارلز داروين نظرياته في الوراثة. لكن دراسات بورتر تحاول تفسير الأمراض العقلية واستخدام ذلك الفهم كأداة تساعدنا على فهم مجتمعنا، وتؤكد البساطة فوق الحقيقة، لكنها تهدد تلك الدراسات الوراثية الأخرى، التي تهتم عادة بالبيولوجيا على حساب الثقافة، والإحصاءات على حساب السياق. بورتر يقول «الجينات والـDNA كانت دائماً جزءاً من القصة في تفسير الوراثة، ونادراً ما تكون مستقلة عن بعض العوامل الأخرى».

موروث العلماء السابقين في الوراثة وعلوم الجينات كان محطة قلق أيضاً لزيمر، فهؤلاء العلماء ادعوا أن الذكاء هديه بيولوجية تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، هؤلاء العلماء أنفسهم كانوا خائفين على مستقبل أمريكا وبريطانيا لأنهم ادعوا أن هذه الأنحاء كانت تدار من قبل مهاجرين وصفوهم بأنهم ليسوا من الطبقة العالية في الذكاء، هؤلاء العلماء كان يشيرون إلى نتائج الـIQ لهؤلاء المهاجرين

# إصدارات عالمية جديدة

الكتاب: «المعلمون بين المهنة والهوية»  
المؤلف: تأليف جماعي  
الناشر: منشورات s.n.s فرنسا  
تاريخ النشر: ٢٠١٩  
عدد الصفحات: ٨٠ صفحة  
اللغة: الفرنسية

يتحدث الكتاب عن «عالم التعليم» هذا الموضوع المتداول منذ عقود خلت اجتماعيًا وسياسيًا. ومعه يستمر الهمم بوحدة معينة لهذه المجموعة الاجتماعية، على خلاف الدراسات التي تسلط الضوء على الاختلافات، وحتى على الانكسارات التي تقسمها. يمكن اعتبار «المدرسين» موظفي خدمات عامة لكنهم يتموقعون على الخطوط الأمامية للدفاع عن القيم الاجتماعية أو ممثلين عن مهنة ليبرالية مترددة في التغيير؛ مثل موظفي الخدمة المدنية المعترف بهمهم بشكل غير عادل أو بشكل مفرط. وحتى في داخل عالم التعليم، فإن الحديث عن «الاحتراف» ما زالت معالمه غير واضحة وغير متوافق عليها. يتساءل الكتاب عن المكانة الخاصة للمعارف الانضباطية والمعارف التعليمية؟ على الرغم من إنتاج العديد من المهارات المرجعية لصناعة الكفاءات، إلا أن ما يعرف اليوم بـ«المعلم الجيد» ليس واضح المعالم.

هل يمكن الحديث عن تقهقر مهنة المعلم في ضوء تطور الرسالة التعليمية التي يعهد بها المجتمع إلى المعلمين؟ هل فقد المعلم دوره في ظل الصيغ المعرفي الرقمي الهائل الذي أصبح في متناول المتعلمين؟ أو العكس، هل أشكال إعادة تأهيل المعلم في عمله وفق المستجدات والتقنيات هي التي من شأنها تجديد المهنة والعقد الاجتماعي للمدرس؟ هذا الكتاب المهم عبارة عن مراجعة للمعرفة الاجتماعية حول عالم التعليم ويتناول بأمثلة ملموسة قضايا الهوية المهنية للمدرسين.

## آخر الإصدارات في اللغة الإيطالية (عز الدين عناية)



الكتاب: «الأديان والعولمة»  
إعداد: أوغو ديسي  
الناشر: منشورات كاروتشي (روما) - باللغة الإيطالية



الكتاب: «التاريخ السري للرياضة»  
المؤلف: فرانسوا طومازو  
الناشر: منشورات لاديكوفيرت - فرنسا  
عدد الصفحات: ٦٦٥ صفحة  
تاريخ النشر: ٢٠١٩  
اللغة: الفرنسية

تحتفل الرياضة بالفائزين وابتسامتهم ودموعهم وأدائهم وثروتهم. نحن ننسى غالبًا المهزومين، الغشاشين ورجال الظل الذين صنعوا من الرياضة اقتصادًا مستقلًا بذاته: يجمع بين الوكلاء والمدربين والمديرين ورجال الأعمال والممولين والصحفيين والمراهنين والمتعاملين. خلف محمد علي، إيدي ميركس، وبيليه وفيدرر... وغيرهم، يعبر هذا الكتاب قرنين من التاريخ الرياضي كاشفا عن أسرار الخفية التي كان لها تأثير كبير على تطور الممارسة وصناعة الرياضة.

هكذا يستعرض الكاتب تجربة هورست داسلر الرئيس السابق لأديداس، ومخترع التسويق الرياضي وصانع الأبطال والمال، الذي كانت إمبراطوريته تصنع أيضًا القادة للعظماء للرياضة العالمية، ورؤساء اللجنة الأولمبية الدولية (خوان أنطونيو سامارانث، توماس باخ) أو كرة القدم (جواو هافالانج وسيب بلاتر)، وكذلك هؤلاء الأطباء الإيطاليون الذين طوروا منذ عام ١٩٥٠ علم المنشطات الذي غزا عالم الرياضة عامة، ورياضة ركوب الدراجات خاصة، والعديد من التخصصات الأخرى، أو تجربة أفري برونديج رئيس اللجنة الأولمبية الدولية ١٩٥٢-١٩٧٢، الذي عارض بحماسة مقاطعة دورة الألعاب الأولمبية في ميونيخ (١٩٣٦) رافضا تسييس الرياضة.

ومن هذه الشخصيات العلنية المشهورة والأخرى المخبأة في المكاتب، وفي الردهات الخامسة، والتي أصبحت أيضًا طبي النسيان، بعضها يعيش في الظل، استعاد لنا الباحث السوسولوجي فرانسوا طومازو التاريخ السري للرياضة.



## آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)



الكتاب: «عصر الإنتاجية»  
المؤلف: سيرج أوديبي  
الناشر: منشورات لاديكوفيرت - فرنسا  
تاريخ النشر: ٢٠١٩  
عدد الصفحات: ٩٧٦ صفحة  
اللغة: الفرنسية

منذ أواخر القرن العشرين، وإشارات الإنذار لا تنفك تدق محذرة من الأخطار البيئية المتزايدة: ما زال الاحتباس الحراري يتزايد، ولا يمكن السيطرة عليه. ويستمر الدمار الكبير للتنوع البيولوجي، من خلال إزالة الغابات وانتشار تلوث البحار... إلخ. ولمواجهة هذه الأخطار الحقيقية، يناضل المدافعون عن القضية الإيكولوجية لإقناع المجتمعات، وكذلك صناع القرار الاقتصادي والسياسيين، بالحاجة إلى تغيير عاجل للنموذج.. لماذا القوى السياسية، سواء اليمينية أو اليسارية، لم تستطع أو تريد مواجهة التحدي البيئي؟

هذا هو السؤال الذي يتصدى له كتاب سيرج أوديبي، الذي يقدم لوحة جدارية غير مسبوقه عن الجذور الفلسفية والإيديولوجية والسياسية للأزمة الحالية. على مفترق الطرق بين التاريخ والفلسفة، تدرس هذه الجينالوجيا الثقافية المنطق العقائدي والسياسي الذي تسيّد منذ ما يقرب من القرنين من الزمان، المواقف والبرامج المرتبطة بمجال البيئة، وإنجازاتها الناجحة والفاشلة كذلك.

يبيّن المؤلف بخاصة السبب، في أن أجزاء كثيرة من العالم، ساد فيها منطق اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي يسير في اتجاه النموذج الإنتاجي، الذي تسبب في تدمير سريع للبيئة، لا مثيل له.

وفي الوقت نفسه، يُثير المؤلف مسألة «الممكنات» التي لم تصل إلى نتائج أو لم تتحقق، والتي تدعونا إلى (إعادة) اكتشاف طرق بديلة، تسعى للتوفيق بين النقد الاجتماعي والبيئي للرأسمالية في أفق تحقيق «مدينة بيئية» في المستقبل.

# إصدارات عالمية جديدة

سنة النشر: ٢٠١٩  
عدد الصفحات: ١٣١ صفحة

يقارن الكتاب بين أوجه التأثير المتعددة للعولمة في الأديان، كما يعرّج على انهيار الحدود الدينية التقليدية بفعل ظاهرة التواصل الناتجة عن ذلك التقارب، وما له من أثر على دائرة الإيمان؛ إذ تفرض هذه التحولات على الأديان النظر للعالم برؤية منفتحة متسامحة. ومن بين المحاور المهمة المعالجة في الكتاب نجد مقابلة بين دائرة المقدس بوجه عام والنظام العالمي وما يطغى عليه من طابع رأسمالي. صحيح تعرض العولمة لتحديات جمة أمام الأديان أبرزها الخشية من الذوبان والتفسخ، ولكن ذلك يمنح الأديان قدرة على التأقلم مع الأوضاع الجديدة.



الكتاب: «سوفياتستان.. رحلة في آسيا الوسطى»  
إعداد: إريكا فاتلاند  
الناشر: منشورات مارسيليو (البندقية) - باللغة الإيطالية  
سنة النشر: ٢٠١٨.

عدد الصفحات: ٥٤٤ صفحة  
الكتاب هو عبارة عن تحقيق شامل قامت به كاتبة شابة عبر رحلة في الدول الإسلامية التابعة للاتحاد السوفييتي سابقا. رحلة تقارن بين أوضاع أمس وواقع اليوم. تتابع المؤلفة إريكا فاتلاند عديد الأوجه المتقاربة والمتباعدة بين تلك البلدان المترامية، مع تركيز عمّا يربط بعضها ببعض. الكتاب رحلة شيقّة في مجتمعات ولغات وحضارات متنوعة يجمع بينها الدين على مستوى المعتقد.

\*\*\*\*\*

## آخر الإصدارات في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)



الكتاب: «التكنولوجيا: التاريخ النقدي لمفهوم»  
المؤلف: إريك شاتزبيرغ

الناشر: مطابع جامعة شيكاغو - شيكاغو ولندن.  
سنة النشر: ٢٠١٨

فلسفة التكنولوجيا من المباحث الفلسفية الجديدة. وهو مبحث يحتاج إلى التعريف به. وهذا الكتاب يتيح الفرصة لذلك. ينطلق من واقعة: توجد التكنولوجيا في كل مكان، من أعماق الوهاد إلى قتل الجبال. لكن مفهوم «التكنولوجيا» من المفاهيم التي لطالما قلت العناية به. في الخطاب الشعبي، عندما يذكر اسم «التكنولوجيا» عادة ما يوحى بأحدث الإبداعات الرقمية، وفي الخطاب الأكاديمي يبذل الباحثون جهدا أكبر لتعريف ما الذي تعنيه التكنولوجيا، وذلك حين يؤلفون بين مختلف التعاريف التي تحتوي على كل شيء: من صناعة الصلب إلى صناعة الغناء. في كتابه «التكنولوجيا: التاريخ النقدي لمفهوم» يفسر لنا إريك شاتزبيرغ لماذا يصعب تعريف التكنولوجيا، وذلك بتنقيبه في عمر التكنولوجيا البالغ ثلاث آلاف سنة، والذي يخترقه توتر الصلة بين الباحثين والممارسين. إذ منذ عهد الإغريق، حاول الدارسون الزاوية بالتقنيين، معرّفين الممارسات التكنولوجية على أنها مجرد وسيلة لتحقيق غاية يرسمها الغير، هذا بينما سعى أهل التكنولوجيا دوما إلى الرد على هذه التهمة، وذلك بالتشديد على كرامة وإبداعية واستحقاقية عملهم. وقد استمر هذا التوتر من أرسطو إلى القرن التاسع عشر مرورا ببيكون. و فقط في القرن العشرين برزت المعاني الحديثة للتكنولوجيا: التكنولوجيا باعتبارها فنونا صناعية، والتكنولوجيا بوصفها علما تطبيقيا، والتكنولوجيا بوصفها تقنية. ويستقصي المؤلف هذه المعاني الثلاثة من بدء ظهورها إلى أيامنا هذه، حيث أمسى الخطاب عن التكنولوجيا شائعا، حتى وإن بقي الخلط بين هذه المعاني مشتركا. ويظهر المؤلف أنه فقط بالاستناد إلى مفهوم إنساني للتكنولوجيا يمكننا أن نفهم الاختيارات الإنسانية المعقدة المتجسدة في عالمنا الحديث.



الكتاب: «ما بعد السياسة وحدود الطبيعة»  
المؤلف: أندري تشيري  
الناشر: ساني بريس، نيويورك - باللغة الإنجليزية  
سنة النشر: ٢٠١٩

تعد «فلسفة البيئة» مبحثا فلسفيا جديدا. وأندري تشيري أستاذ السياسة بجامعة فرجينيا التكنولوجية وصاحب كتاب: «جعل المواطنة خضراء: التنمية المستدامة والدولة والإيديولوجيا». يطلع علينا هذه المرة بكتاب في فلسفة البيئة

تحت عنوان «ما بعد السياسة وحدود الطبيعة». النظرية النقدية والمرجعيات الأخلاقية والنزعة الجذرية في مجال تأثير الإنسان في البيئة. وهو يقدم لنا، في هذا الكتاب، نظرة استطلاعية شاملة حول مشروع النظرية النقدية من ستينيات القرن الماضي إلى اليوم، ويفحص لماذا الأجيال الماضية من ذوي النزعة البيئية الراديكالية والمطالبة بالعدالة الاجتماعية كانت غير فعالة في المعركة ضد الظلم واستغلال البيئة استغلالا بشعا. ثم يعرج على التعريف بموجة جديدة من دعاة حماية البيئة واجتثاث الظلم الاجتماعي بدأت منذ حركة وقفة وول ستريت وانتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠١٦. ومن خلال ذلك يقدم لنا عرضا غنيا عن أحد أهم المساهمين في النظرية النقدية الفيلسوف الألماني ثيودور أدورنو (١٩٠٣-١٩٦٩) والأعمال الحديثة التي نذرت للربط بين أفكار أدورنو وما أمسى يعرف باسم الواقعية الجديدة في الفلسفة السياسية والنظرية السياسية.



الكتاب: الشر: العلم يكشف عن الوجه المظلم للإنسانية  
المؤلف: جوليا شاو  
الناشر: دابلداي كندا، باللغة الإنجليزية  
سنة النشر: ٢٠١٩

هذا الكتاب تفتيش دقيق وكشف صارم عن الوجه المظلم القابع في أعماق وخبايا ذهن البشري. ذلك أن نصيبا من الشر يقبع في خفيات كل إنسان إنسان. وحتى إن ما كان كل واحد منا يقترف الشر، فإن من شأن كل واحد منا أن ينظر فيه ويتأمل. ما الذي يمكن أن يعلمنا العلم إياه حول: لماذا يفكر الناس تفكيرا شيئا ويسلكون سلوكا فاسدا؟ وما الذي يعلمنا إياه عن أنفسنا رد فعلنا على سلوك الانحراف؟ تسعى جوليا شاو، في هذا الكتاب، إلى تقديم أجوبة عن هذه التساؤلات. وهي أستاذة في سيكولوجيا الإجرام، وتحيا في وسط حيث تتم مطاردة أكبر مرتكبي الفضاعات، وحيث الشرطة ورجال القانون يردون خطر مرتكبي الفضاعات على المجتمع. وفي كتابها هذا عن الشر، تتوسل الباحثة بأحدث البحوث في هذا المضمار لتقدم لنا إجابات عن سؤال: لماذا يتصرف بنو البشر تصرفات سيئة ومؤذية؟ وكيف يمكن أن نتفادى الأفعال الشريرة، وذلك بفهم أعمق لكيف تطفو هذا الأفعال على السطح؟ وما الذي يصنع منا أشرارا؟ وهي في ذلك كله تؤلف بين ثلاثة مباحث: العلوم الدقيقة وعلم النفس والفلسفة، متنقلة بين الأسئلة المخرج، من سؤال: «هل ينبغي لي أن أقتل صغبر هتلر؟» إلى سؤال: «لماذا يا ترى أريد أن أقتل زوجتي؟».

# حالياً في الأسواق..

## مجلة التفاهم

عنوان العدد: الرحمة في الدين والأخلاق ورؤية العالم

الرَّحْمَةُ فِي الْعِلَاقَةِ بِاللَّهِ وَفِي التَّعَامُلِ بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ

عبد الرحمن السالمي

### مدن وثقافات

- محنة الموريسكيين: ألم التاريخ وأمل المستقبل  
سعيد عبيد

### الإسلام والعالم

- الجنيزا الإسلامية والجنيزا القاهرية الجديدة  
مارك ر. كوهن

### المحاور

- فقه الرحمة في القرآن الكريم - معرفة من أجل الحياة - سعاد الحكيم
- الخطاب القرآني: الصّفات الإلهية لدى المتكلمين والأزمة الجديدة - رضوان السيد
- الرَّحْمَةُ فِي السُّنَّةِ وَالسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.. وتطبيقاتها الاجتماعيّة - محمد جمال علي
- الدين والرحمة في اليهودية والبوذية - معز مديوني
- الرحمة في الديانة المسيحية: أنموذج أغسطين - فتحي المسكيني
- الرَّحْمَةُ وَالْمَحَبَّةُ وَالرِّضَا لَدَى الصُّوْفِيَّةِ - محمد بن الطيب
- الرحمة في أنظمة الرّكاة والوقف وعموم الصدقات - إبراهيم البيومي غانم
- «الرحمة» من منظور الاقتصاد الإسلامي - سمير الشاعر
- القرآن والإنسان: الصفات التكوينية والكسبية - الحسن حما

### دراسات

- مفاهيم الرحمة وأصولها القرآنية - أنجليكا نويفرت
- فلسفة الدين عن ديفيد هيوم - حمادي أنوار
- من أخلاقيّات الاعتقاد إلى إستمولوجيا الاعتقاد - محمد الشيخ

### وجهات نظر

- الحدائث الغريبة وتشبؤ القيم - عماد الدين عبد الرزاق
- الشعريّة الصوفيّة: موضوعات شعر البلاط في الأخبار الصوفيّة المبكرة  
بلال الأرفه لي

### آفاق

- اللغة والخلاف: في سؤال الدلالة والمعنى - محمد بنينير
- في شرعيّة الاختلاف الحضاري والتعددية الثقافيّة - عبد العزيز انميرات



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف: ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ، فاكس: ٢٤٦٠٥٧٩٩ +٩٦٨

البريد الإلكتروني: [tasamoh@gmail.com](mailto:tasamoh@gmail.com) - [al.tafahom@gmail.com](mailto:al.tafahom@gmail.com) - [www.alfatahom.net](http://www.alfatahom.net)